ثرثرة القردة

ثرثرة القردة

"ما يحدث في نيبال، يبقى في نيبال"

شريف عثمان

اسم الكتاب: ثرثرة القردة.

اسم الكاتب: شريف عثمان.

تدقيق لغوي وإخراج فني: محمود ربيع.

تصميم الغلاف: أحمد الصباغ.

رقم الإيداع: ٢٠١٨/٢٥١٦٧م

الترقيم الدولي: 978-977-6056-99-2

جميع الحقوق محفوظة للناشر

وأي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إلكترونية، أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابيّ من الناشر؛ يعرّض فاعله للمساءلة القانونية.

شهر زاد للنشر والتوزيع

shahrazadpub@gmail.com

شكر وإهداء . . .

إلى أبي عثمان ثابت: شكرًا لأنك دائماً كنت بجانبي
إلى أمي الحبيبة: شكرًا لأنكِ دائماً نورًا لي في طريقي
أحبكما حد السماء

إلي إياد وديالا وزوجتي
إلى كل عائلتي
إلى أخي سامح وإيهاب، إلى أختي رغدة وولاء
إلى محمد عادل .

شكرًا لكم

تقدير وعرفان وشكر

إلى . . . .

رشـا بـدر سـالمان «مشـمش» ... كل الكلـمات لا تكفـي قـدركِ ومعزتـكِ عنـدي، دمتـي لي دائمـاً وأبـدًا أختًـا عزيـزة.

دانـا محمـد ريفـي..... شـكرًا عـلى تعبـك ومجهـودك ومتابعتـك الدقيقـة في كل شـخوص وعنـاصر الروايـة، دمتـي دائمـاً وأبـدًا، لـولاكِ بعـد اللـه عـز وجـل مـا كان خـرج العمـل إلى النـور.

الفنـان عـلاء عبدالخالـق..... شـكرًا أسـتاذي وأخـي وصديقـي كلماتـكَ ودعمـك، دائمـاً سـوار عـلى قلبـي.

الفنـان محمـد محيـي..... شـكرًا أسـتاذي وأخـي وصديقـي، دائمـاً كنـت داعـمًا لي ومحبًـا، أشـكركَ؛ لأنـك أنـرت لي الطريـق.

إيهـاب عثـمان ثابـت..... شـكرًا أخـي الصغـير؛ لأنـك وقفـتَ بجانبـي في أحـداث الروايـة، وكانـت أحاديثـك وملاحظاتـك محـل اهتـمام واحـترام.

وائـل عـادل غنيمـي..... شـكرًا لك صديقًـا عزيزًا، دائمـاً تقف جانبي وتتمنـى لي الخير.

أسماء فخر الدين..... كل كلمات الشكر لكِ ولكل أسرة الدار.

نفيـين شـوكت..... ملاحظاتـك الدائمـة ونقـدك ومناقشـاتك الهادفـة كانـت دائمـاً حافـزًا لتقديـم الأفضـل.

نجيبة فراحتة..... كنتِ دائماً ولا زلتِ بجانبي، شكرًا لكِ صديقتي الغالية.

كل الشكر لكل من ساهم لخروج هذا العمل إلى النور.

هؤلاء فقدناهم، ولكنهم باقون في القلب.

غادروا بأجسامهم..... ولكن روحهم باقية.

محمود سيد عرفة دحروج

وليد الأمير بدوي

أسماء محمد الخولي

حازم دياب

رحاب يونس

إيمان مرسي السيد

عبد العزيز عمار

سأشتاق لكم... حتى نلتقي

أهدي لأرواحكم العمل.

كل الشكر والتقدير . . .

لدولة «نيبال» رئيساً وشعباً

لسفارة دولة «نيبال» بالقاهرة

معالي السفير «هيبندرا برصادا أيارل» سفير دولة نيبال لدى جمهورية مصر العربية

وزارة الثقافة النيبالية بـ «كاتماندو»

«إذا أردت أن تنتقم؛ فاحفر قبرين»

(١)

من داخل مطار القاهرة التي كانت تكتظ بالمسافرين تارة وبالعائدين تارة أخرى، ولكن هذه الصالة المختصة بالسفر فقط، كان هناك مجموعة من الشباب بجانب بعضهم البعض.

شاب ١: أهلًا وسهلًا، لقد رأيتك تقف وحيدًا ممسكًا بشنطة سفر، أأنتَ معنا في رحلة جروب سفر بلا حدود؟

شاب ٢: نعم، اسمي جورج نوري.

شاب ١: أهلًا وسهلًا، إيهاب الوايلي.

وبعد أن تعارفا كلاهما دخلا سويًا للصالة الرئيسية في انتظار بقية المسافرين، نعم تلك الرحلات التي لا تخرج من شركات السياحة، والتي غالبًا تكون نمطية ومملة.

بل هي جروب داخل الفيسبوك يجمع المهتمين بممارسة العمل العام مع الذهاب إلى أماكن تحتاج لشباب يمرّون بتجارب تغيّر حياتهم، هي ليست رحلة للتصوير سيلفي فقط.

هكذا وجد ضالته إيهاب الوايلي.. مهندس الاتصالات الذي تتّسم حياته بالرتابة، وبينما يشعر بالملل وقع أمامه ذلك الجروب «سفر بلا حدود» تعرض رحلتها إلى دولة نيبال.

نعم نيبال، ربّما لم يسمع عنها الكثيرون، ولكنها موجودة، تقع بين براثن الصين والهند في وسط آسيا، يحوطها جبال الهيمالايا، دولة نامية تعتمد على ذاتها؛ فلن تحتاج إلى «شنغن» للسفر إليها ولا الكثير من الأموال، ربما ما تحتاج

له هو أن تؤمن بالمعجزات ولا تكذّب الخرافات.

جورج: من أين سمعتَ عن الرحلة؟

إيهاب: كان ذلك من خلال موقع التواصل الفيس بوك، وجدتُ جروب جيدًا للسفر؛ فدخلت إليه لأرى ردود أفعال الآخرين حول السفر، هناك أماكن رائعة ولا يشترط أن تكون بأمريكا أو أوروبا!

جورج: بالطبع، أنا سافرتُ كثير جدًا، وأمتع سفر لي كان في دول مثل كينيا، التبت، الهند، موروشيوس... وغيرها.

إيهاب: هل سافرتَ إلى نيبال من قبل؟

جورج: لا، إنها المرة الأولى التي أسافر إلى نيبال، ولكني سمعتُ أنها رائعة!

إيهاب: بالطبع جورج، كم تستغرق الرحلة؟

جورج: حسب ما سمعت ساعتين تقريبًا لدبي، ومن دبي حوالي ثلاث ساعات لمطار "كاتماندو".

تعارفا سريعًا وأصبحا أصدقاء؛ فكلاهما جمعهم قاسم مشترك وهو الرغبة في اكتشاف أماكن جديدة والسفر إلى بقع ساحرة، وكانت وجهتهم ومناط تفكيرهم هي دولة نيبال.

نداء الطائرة المقلعة نحو دبي ومنها ترانزيت عدة ساعات نحو نيبال؛ ليتجه كلٌّ من جورج وإيهاب نحو تفتيش الجوازات ثم إلى الطائرة.

وبعد أن استقرا داخل مقاعدهما بالطائرة يأتي في المقعد أمامهم.

مسافر: هاي يا شباب، أنا فهد أدمن جروب «سفر بلا حدود»، أنت إيهاب، وبالتأكيد أنت جورج، أخذتها من خلال مشاهدتي لصورة غلاف حسابكما.

جورج، إيهاب: إزيك فهد.

فهد: نيبال جميلة، ممتعة، ستعجبكم بالتأكيد، ولكنها ليست قبلة سياحة

فاخرة، بل دولة مستوها الاقتصادي متدنيّ بالمقارنة بجيرانها.

إيهاب: وكيف ذلك؟!

فهد: المواصلات هناك زحمة مثل علب السردين والتكاتك، هم أناس بسطاء، ستستمتعون جدًا، وتكون لكم تجربة حياتية شيّقة، ولن تروها حتى لو سافرتم مليون مرة لباريس أو نيويورك.

"يرجى من المسافرين الجلوس في مقاعدهم ووضع حزام الأمان، نستعد الآن للإقلاع، وشكرًا".

فهد: ستبدأ الرحلة، سنتقابل مع جروب آخر في دبي وسننضم لبعضنا.

نظر إيهاب نحو شباك الطائرة وبدأ يتذكر الفترة العصيبة التي مر بها قبل هذه الرحلة منذ وفاة أخيه الأكبر في حادث.

فتغيّرت معاملة والده؛ فأصبح يخاف أكثر عليه وعلى أخيه الآخر؛ لذلك اضطر إيهاب للكذب بشأن سفره.

فلم يكن لوالده أن يرضى أن يسافر إيهاب ابنه إلى مكان مجهول لا يعلم عنه شيئًا، ولكنه كان يحتاج ذلك، ظروف وفاة أخيه الأكبر، والذي اعتمد عليه الجميع، حتى الأب الذي كبر في السن كان يعتمد عليه في عملهم الخاص، ولكنه توفى.

كل شيء تغير الآن، احتاج إيهاب للهروب بعيدًا... بعيدًا عن أجواء الحزن والأجواء القاتمة، احتاج للهروب من الألوان السوداء حوله والوجوه العابسة.

احتاجَ للهروب من أصوات القرآن في كل مكان، ليس من القرآن ذاته، بل لتشغيله في كل مكان إيمانًا بأن القرآن مرتبط بآداب الموت والحزن، وليس لأنه دستور للحياة.

احتاج بشدة للهروب من كل شيء حوله، فربّما هو ليس لديه الثبات الانفعالي كما عند أخيه.

الأب الآن يعاملهما كما الأخ الذي توفي، وأحيانًا يخطئ في اسمه، لماذا نعالج دائمًا أحزاننا بالهروب؟!

إيهاب يعلم ذلك تمامًا، ولكنه لا يريد المواجهة، ربّما يفعلها يومًا ما، ولكنه حتمًا ليس الآن والجراح لا زالت مفتوحة والدماء تسيل منها.

ينظر عبر النافذة بينما تبتعد الطائرة للأعلى؛ فيشعر بأن يدَي الحزن تجتذبه للأسفل، يدَي الاحباط تحتضنه ولا تريد أن تتركه.

دائمًا السيء متوافر، أما لحظات الفرح والسعادة شحيحة دُمنا ننتظرها.

ولكنه هنا لينسى كل ذلك، حتى وإن كان لأيام قليلة وهو يتحمل تبعات سفره؛ حيث يرجع ويكتشف الأب بأن الابن الأصغر قد كذب عليه بشأن سفره، هو ناضج بما يكفي ليتحمل تبعات الأمر.

هو يعلم جيدًا أنه يحتاج ليخرج من عباءة أخيه والتي ألبسها إياه والده في كلمته الشهيرة الآن «رحل أخوكم الأكبر، رحل عكازي، والآن أنتما عكازي».

ألم أقل لكم بأن مع ارتفاع الطائرة بين السحب يشد إليها جاذبية الحزن والتفكير الذي لا نهاية له.

تبًا للتفكير... هذه رحلة لنسيان كل شيء.

نيبال، ها أنا قادم.

(٢)

وصلا كلاهما إلى مطار دبي في انتظار باقي الجروب القادم من تونس وآخرون، وكان إيهاب الوايلي قد خرج قليلًا من أحزانه وبدأ في الاندماج داخل المجموعة، وأصبح شغوفًا للسفر إلى نيبال، تلك البقعة الهادئة وسط عواصف الانفجار السكاني في الشمال بالصين والجنوب بالهند!

جورج: أتعرف أني سعيد برؤيتك إيهاب والتعرف عليك، سنكون أصدقاء.

إيهاب: إنها من دواعي سروري جورج، قل لي بماذا تعمل؟

جورج: أنا لن أعيش في جلباب أبي، قصدي والدي عنده محل جواهري مشهور في الظاهر اسمه «مجوهرات المحبة»، وأنا أعمل هناك، لا أعمل هناك.

إيهاب: وكيف ذلك؟!

جورج: أعمل صوريا فقط، أجلس أحتسي القهوة بحليب صباحًا، أزعق.. امسح دي، روّق دي، يعني، لكن دهاليز العمل نفسه لا.

إيهاب: ولماذا لا تعمل في المجال الذي تحبه وبإمكانك أن تبدع به أبدًا؟! عمل يمكنك أن تحقق نجاحات به وأنت في عمر شبابك.

جورج: فكرتُ من قبل في الأمر، ولكن لا أخفيك سرًا، الوضع القائم جيد بالنسبة لي، سفر دائم ولا مسئوليات، إنها الحرية إيهاب، ماذا عنك؟ احكي لي المزيد عنك.

إيهاب: أنا والله ربّما مثلك، أو ربّما مختلف عنك! مثلك أني لا أريد العمل في مهنة والدي، ومختلف عنك أني بالفعل أعمل في القسم الفني لشركة (...) للمحمول، ومختلف عنك أن لو والدي طلب مني أني أعمل في شركته لن أستطيع أن أرفض وسأستجيب فورًا.

جورج: أرى من كلامك أنك مرتاح في عملك وناجح فيه، كما أني أسمع أنه ليس من السهل العمل في القسم الفني لشركات المحمول، وأسمع أيضًا أن مرتباتها جيدة.

إيهاب: عندنا ظرف خاص، أخي الكبير الذي كان يحمل كل العمل عن والدي تُوفّي.

جورج: أنا آسف.. البقاء لله.. الله يصبركم، فهمتُ أن ليس لديك أخوة آخرون؟

إيهاب: لديّ الأخ الأوسط "مالك"، سأحكي عنه لك فيما بعد.

وهنا وصل فهد منسق الرحلة ومعه عدة أشخاص إلى المقاعد التي يجلس بها إيهاب وجورج، وكانوا عدة أشخاص يظهر عليهم الشغف وروح المغامرة.

فهد: أعرّفكم يا جماعة، هؤلاء المهندس إيهاب والأستاذ جورج معنا في الرحلة، ويا شباب هؤلاء إخواننا «نزهة» من تونس، و»فادي» من لبنان، وهكذا جروبنا اكتمل.

وأيضًا أحب أن أعرفكم بأن فادي هو مؤسس الجروب «سفر بلا حدود»، وقليل عندما يسافر مع جروب تابع للصفحة.

نزهة: وهذا من حظنا، أنا أختكم «نزهة عبادي» من صفاقس.

استمع الجروب لنداء داخلي بميعاد الطائرة المتجهة إلى مطار «كاتماندو تريدوفان».

وهنا حمل الجميع حقائبه وبدأ في مرافقة فهد، الذي كان بدوره يتعقب خطوات فادي.

لم يكن الحمل ثقيلًا في الحقائب، بل حَمِلَ الجميع حقيبة ظهر فقط تحتوي على طقم ملابس واحد.

فهذه الرحلات ليست للتزين والترفيه، هي لنزول جبال والصعود منها، المشي في أمطار شديدة تسقط كالسيل لساعات عديدة، كما أن سكنهم في ما يسمى «هوستيل»، وأحيانا أقل من ذلك، وهي «بيوت اغتراب».

وهي لتوفير نفقات الفنادق الفاخرة وغيرها من المصاريف غير الضرورية، فالهوستيل هو عبارة عن فندق صغير تحوي كل غرفة على عدة سرائر «أسرة» وما عليك سوى النوم واضعًا حقيبة ظهرك كمخدة للنوم.

فالسفر ليس غايته النوم في أفخر السرائر «الأسِرّة»، ولكن السفر لاستكشاف ثقافات أخرى والتعرف على تقاليد وقوميات غير التي يعيش بجوارها المرء طوال حياته.

ربما كان هذا المحرك الذي دفعهم جميعًا للسفر، وهنا دخلوا جميعًا إلى الطائرة والتي امتلأت عن آخرها بذوي صُفْر البشرة، يبدو عليهم أنهم نيبال يعملون في الإمارات عائدون لعدة أسباب تخصهم إلى بلدهم، وكان هناك جنسيات أخرى يبدو عليهم أنهم من وسط وغرب أوروبا.

بدأ نبض إيهاب يرتفع؛ فهو يريد هذه الرحلة بشدة، يحتاجها ليس لحاجتها للسفر، بل لحاجته ليخرج من الشرنقة التي تحيط به.

جلس إيهاب بجانب نافذة الطائرة، ولكن هذه المرة لم يفكّر فيما تركه بمصر، ولكن فكر فيما ينتظره هناك في «كاتماندو»!.

(٣)

وصل الجروب إلى مطار «كاتماندو» بعد سفر ليس به أي عناء لمدة ثلاث ساعات، وهنا بدأ كل شيء زاهي اللون؛ فأول شيء يلفت نظر المسافر نحو نيبال أن الألوان زاهية؛ البرتقالي والأحمر والأصفر، كل شيء هناك ألوانه زاهية تدعو للبهجة، استقبلهم موفود من الهوستيل الإقامة ومعه مشروب ترحيب بالضيوف، ربّما لأن اللباس الشرعي للبوذ في نيبال هو البرتقالي، وهم ما يسمون بالـ Guru أو حاملي الحكمة.

والخطأ ما يعتقده البعض بأن الجرو مختص فقط بالسيخ أو الهندوس؛ فحاملي الحكمة يتواجدون في معظم الديانات التي خرجَت من آسيا، كما أن هناك ما يسمى Monks أو رجال دين تابعين لديانات عديدة، وفي نيبال تابعين للهندوسية الأكثرية، أو البوذية الأقلية.

جورج: لا يوجد أدنى تمييز ديني في مصر.

فهد: كنت تعطي سندوتشاتك لمحمد صاحبك في المدرسة يا جورج؟

جورج: الصراحة لا، وكان اسمه مصطفى وليس محمد.

ضحكوا جميعًا فهي كانت مجرد مزحة، هو ما يميز المصريين؛ فهم يضحكون في كل شيء وعلى أي شيء.

فادي: بدي أقل لكم شِغلة كتير مهمة، أهل نيبال هُون ما يحبوا الاستخفاف، وبالأخص رجال الدين المونكس، وانتبهو السعدان هونِيك ياللي تقولوا عليه بمصر

«القرد» حيوان مقدس، مش للسخافة أو الحركات السخيفة مثل عنا بالدول العربية، ديروا بالكم.

اتسم الجميع بالانتباه لحديث فادي؛ فهو سافر إلى نيبال عدة مرات، وكما تقول الأمثال الشعبية «إذا سافرت إلى السعودية فارتدي عقالًا»، ويعني المثل أن يلتزم الجميع بالتقاليد الشعبية لكل دولة.

فالغرض الأساسي من السفر هو التعرف على التقاليد والموروثات الشعبية لكل دولة، وليس للتنظير عليها.

بدأ الجروب في المشي بين الحدائق التي بجانب المطار نحو الخارج بعيدًا عن السيارات الأجرة باهظة الثمن، إلى موقف الأتوبيس العام عدة كليومترات خارج المطار.

فادي وفهد يعرفان الطريق جيدًا، يعرفان خبايا نيبال جيدًا، ربما يعرفان عنها ما لا قد يعرفه بعض من أهل نيبال.

بدأ كل شيء جيدًا.

فالطقس جيد، والشعب النيبالي أكثر من رائع؛ يبتسم لك بمجرد أن يراك بدون سبب، مجرد ترحيب.

يشعرونك بأنك في موطنك.

ذُهل جورج وإيهاب ونزهة معهما بمجرد رؤية مجموعة من القردة تمشي بين الأشجار قافزة نحو الأرض بجوار النيباليين في حرية كبيرة، وما لفت نظرهم أكثر أن أحد النيباليّين كان يتناول طعامًا على الرصيف بجانب حائط مهدم، جلس بجواره قرد أخذ جزءًا من طعامه، ذاقه وأخذ الباقي ورحل بعيدًا دون أن يهتز جفنٌ للنيبالي.

نزهة: أهلًا أهلًا، أعرّفكم بنفسي... أنا نزهة عبادي مهندسة ديكور.

جورج: أهلًا بيكي، أنا جورج نوري ودة المهندس إيهاب.

نزهة: أهلًا يا هندسة.

إيهاب: ألاحظ أنك تتحدثين المصرية جيدًا.

نزهة: لقد زُرت مصر عديد المرات، فخالتي متزوجة من مصري ويقطنون بحي الزمالك، في أي قسم أنت؟

إيهاب: مهندس اتصالات.

نزهة: ما شاء الله، قسم فني جدًا، ومطلوب جدًا عنا بتونس.

إيهاب: وأنتِ قسم الديكورات، هو مجال عمل شركة أبي؛ فمجالك مطلوب جدًا معانا.

نزهة: الله، باجي اشتغل عندكم.

تركهم جورج وتقدم قليلًا نحو المقدمة مع فادي وفهد، لاحظ أن كلاهما اقتربا من بعضهما البعض؛ فترك لهما المجال ليتعارفا على بعضهما البعض بحرّيّة.

نزهة أخرجت من إيهاب ابتسامته التي افتقدها منذ وفاة أخيه الأكبر وجدها معها، ليس بالضرورة التقرب من أحدهم بغرض الحب والعشق؛ فهناك حب من نوع آخر، حب الصداقة والاقتراب من أحدهم ليكون أسرارك، شخص يؤتَمَن على سرك بدون تكلف.

هكذا أحيانًا الصداقة.

ظل خمستهم يسيرون معًا نحو المواصلة العامة، ومن ثم إلى فندق الإقامة الهوستيل، حتى حدث شيء غريب.

توقف إيهاب على شخص عجوز عارِي الصدر إلا من قطعة قماش رثة حول خاصره، وشعره طويل لونه يميل إلى الرمادية بخلاف الأقراط في أذنه وأنفه بجانب جسده النحيل، حافي القدمين، تبدو قدماه كأنها خرجت من مستوحل قاذورات، كان يمسك بيديه قطعة لحم تسيل منها الدهاء.

منظر بشع، توقف إيهاب عن كل شيء عن حديثه مع نزهة وتركيزه فيما تحكيه عن حياتها في تونس، وظل ينظر للرجل.

لقد قيل لهم أن نيبال مختلفة، ولكن بحق السماء لماذا يقف رجل تعدى عمره السبعين عاريًا إلا حول خصره ممسكًا بقطعة لحم يبدو أنه أخرجها من حيوان بريّ، ممسكًا بها بهذه الطريقة؟!

إيهاب: يا شباب، انظروا إلى هذا الرجل؟

يتوقف الجميع؛ لينظروا نحو ما أشار به إيهاب، ولكن لا يوجد أحد في الطرف الآخر منّا لطريق السريع، الجميع استغرب؛ فلا يوجد أحد.

ربما إيهاب اعتقد ذلك.

فهد: ننظر إلى ماذا إيهاب؟ لا يوجد أحد.

إيهاب: كان هناك أحدهم شكله غريب عريان بالكامل، إلا خصره، ممسكًا في يديه ...

فادي: خيي إيهاب، هنا الشعب كلن كدة، ما في شي خطير نبقَى سَوَا وما نفترق، ونلتزم بالتعليمات وكله تمام، أهم شيء شباب قبل ما نركب المواصلة ها تتصوروا سيلفي مع رجال دين ما يحبوا هالأشيا، وأهم شي بحياة اللي خلقكم بلاها السيلفي مع تمثال بوذا، وتحطوا وجوه وتمدوا لساناتكم أو أي حركات، هيدي جريمة هنتعاقب عليها، وغير هيك اعملوا اللي بدكم إياه.

لقد أخص فادي كل شيء في كلماته والتي طمأنت قليلًا إيهاب، ربما هو عجوز خرف وجد خنزيرًا بريًا أو شيء واخٍ لحمه، ربما هو دخل بين الأشجار في الغابة.

لا شيء يستحق التوقف عنده، أو ربّما الآن إيهاب يشعر بالتعب من عناء السفر، وأيضا عناء الكذب على والده بشأن السفر.

هو يريد الاستلقاء الآن، ربما يستريح قليلًا في الاتوبيس، ها هو أتٍ نحوهم، ولكنه مُلئ بالبشر مكتظ عن آخره.

جورج: إنه ممتلئ عن آخره، ربما علينا انتظار الذي يليه!

فهد: هذا يعدّ من المواصلات الخالية هنا في نيبال، كما أن الآخر ربما يكون

بعد ساعتين كاملتين!

نزهة: ساعتين؟! هذا سيفي بالغرض.

ركبوا الأتوبيس المكتظ واتجهوا للفندق، بينما يقفون في الأتوبيس رأى إيهاب العجوز العاري من شباك الأتوبيس القديم، كان يلوّح له، ولكن هذه المرة نظر فقط إيهاب ولم يشارك أحد في الأمر؛ حتى لا يظهر بمظهر الأحمق كأول مرة.

(٤)

"هوستيل السلام"...

مبنى قديم يظهر عليه القِدَم؛ حيث يعطي انطباعًا أنه أُسّس في أواخر السبعينات، أو ربما كان مبنَى حكوميًا قديمًا وتحول إلى هوستيل.

دخلوا إليه، كان عبارة عن مكان خشبي قديم، ولكنه بالداخل كان أنيقًا يحوي على حائط كبير به هدايا وتذكرات تركها المقيمين في الهوستيل من جميع أنحاء العالم، فمنهم تجد أعلامًا لمعظم دول العالم، كما توجد عملات من الفئات النقدية الضئيلة من جميع دول العالم، ورسائل بلغات مختلفة منها شكر ومنها رسائل حب وغيرها.

أما الغرف فكانت عبارة عن غرف صغيرة وبها مراتب على الأرض تبدو أنها نظيفة ولا عيب بها تكفي لسِتّ أشخاص في وقت واحد.

إيهاب: أستأذنكم لأني متعب قليلًا من عناء السفر، سأرتاح قليلًا، مَن أراد هذا الجزء من سرير النوم؛ فليأخذها، لا مشكلة لدي.

فهد: لا حبيبي، كلهم مثل بعضهم البعض.

جورج: لدينا آخرون معنا في الغرفة؟

فهد: نعم بالتأكيد، نحن ثلاثة، وأكيد هنالك ثلاثة آخرون مقيمين معانا هنا.

إيهاب: ثلاثة؟!

فهد: نعم، بجانب ذلك فادي لديه مكانه الخاص؛ لأنه من المنظمين للرحلة، كما أن نزهة اختارت غرفة مفردة حتى تكون على راحتها بكلفة إضافية بالطبع.

جورج: هيا الآن إلى النوم، أشعر بالتعب من جرّاء الرحلة، ماذا سيكون برنامج الرحلة اليوم فهد؟

فهد: سنذهب للغذاء بعد قسط من الراحة، ثم نذهب إلى معبد بوذيّ قريب سنشاهد المعالم به، ونرى معبدًا أُسّس منذ ١١٠٠ عام.

أخرج الشباب ما بحقيبتهم، وهي غالبًا طقم لبسٍ واحد، وشاحن دولي لتليفوناتهم، وفوطة نظيفة؛ لوضعها تحت رأسهم، بخلاف الحاجات الخاصة بالنظافة الشخصية.

إيهاب وجد نفسه قبل النوم يفكّر في الرجل العجوز العاري، لقد لوّح له! لماذا يلوّح له؟!

كثرة التفكير يتعب، ربّما النوم الآن هو الأفضل له، أول يوم لنوم خارج سريري المرتب الأنيق المريح.

كم هو صعب! ولكن لا بد منه.

(٥)

اجتمع الجروب بعد بضع ساعات من النوم جرّاء إرهاق الرحلة، وبعدها تناولوا مشروبات أخرى ترحيبية من الهوستيل، وبدأوا في التحرك نحو معبد قريب من الفندق، كان معبدًا هائلًا في ارتفاعه يحيط به من الخارج مجموعة أجراس قديمة، ربّما تعود لـ ١١٠٠ سنة، كما توجد عدة آبار للمياه أمام المعبد، يتقرب منه السائحون للشرب، أما أهل الدولة فهي للتقرب للإله، والدعاء بقضاء حاجة لهم.

الشعب النيبالي هادئ الطباع لم يلوّثه مغريات المجتمع، ولم تلوثه الموروثات القبلية العصبية، وربما لم يجتاحه عاصفة التعصب الديني عكس جيرانه هنا وهناك.

لا تجد مسلمة وقد نُزِع حجابها من رأسها، فقط لأنها مسلمة، أو تجد بوذية قُتِلت لأنها لم تؤمن بالتعاليم الهندوسية، كما لن تجد نيبالي ينفر الشراء من مطعم أو محل لبيع اللحوم عليه معلق صورة «المسيح المصلوب» «لا لن تجد تلك الأشياء هنا».

هكذا كانت عينا إيهاب تعمل وعقله يفكر في كل شيء يراه، وبجواره الجروب ينظرون بتعجب إلى كل شيء في المعبد، وإلى ذلك السلم الكبير المؤدي نحو المعبد.

أخرج إيهاب كاميرته المسمى بالمحترفة بالتصوير، والتي يمكنها التقاط صورًا عالية الدقة والوضوح من أماكن بعيدة، بل ويمكنها التقاط أرضية القمر إذا أرادت ذلك.

بدأ إيهاب في التقاط الصور هنا وهناك للمعابد والأجراس والأشجار القديمة بجانب بئر المياه، وعدة صور للجروب مجتمع.

تحاشى إيهاب أن يصور رجال حامِلي الحكمة بصورة مباشرة، ولكن ربّما التقط لهم الصور وهم بجانب شيء.

نزهة: أنا فقط أتساءل؛ هل يمكن يومًا في بلادنا أن تجد مثل السماحة الدينية التي هنا؟ بلداننا أكثر تطورًا منهم، وربما أكثر عراقة، ولكن لا توجد أدنى احترام لحرية العقيدة.

جورج: ربّما اتحدث بأبي قبطي أرثوذوكسي يعيش في بلد كأقلية توجد بها حرية العبادة وبناء الكنائس، حتى فتح قنوات دينية، ووضع طقوس العبادة كالصلبان وغيرها، ولكن عندكِ كل الحق؛ فلن نصل لهذه الدرجة من السماحة الدينية.

إيهاب: ربّما لبنان تجربة حية لذلك التسامح، حيث توجد بها الحرية الدينية، ربما يحدثنا «فادي» عنها قليلًا.

فادي: لا أخي إيهاب، توجد لدينا سماحة الآن؛ لأنه لا خيار لنا غيرها بعد الحروب التي عانت ولا زالت تعاني منها لبنان، ولكن لا توجد لدينا تلك السماحة التي توجد هنا.

كان حديث شيقًا اشترك فيه الجميع، ثم بدأ الجميع في التحرك هنا وهناك لاكتشاف أشياء جديدة في ذلك المعبد.

تحرك إيهاب قليلًا نحو كومة من الاشجار في نهاية المعبد؛ ليكتشف أنها ليست نهاية المعبد، بل هي مكان مرتفع لأخرى منخفضة تابعة للمعبد، ولكن توجد أشياء تحدث بالأسفل.

ولكن لا سائحين بها، قرّب إيهاب عدسة كاميرته؛ ليرى الأمور بشكل أوضح.

بدت كأنها مراسم جنائزية لأحد المتوفين، حيث يرقد رجل تعدى الأربعين من عمره في وسادة خشبية محاط بمجموعة من الورود البرتقالية اللون، وحوله يوجد رجل دين عاري الصدر إلا من القماشة التي تحاوط خصره، وعدة مساعدين أمام نهر.

على بعد أمتار قليلة يوجد ما يشبه مكان مرتفع قليلًا يجلس فيه أشخاص نيباليّين يبدو عليهم الثراء من ألبستهم التي تختلف عن لباس القرويين الذين شاهدهم إيهاب منذ وصوله.

يبدو عليها التحضر، ليست رثة كالأخريات، يبدو أن هؤلاء الأشخاص هما أقرباء لذلك الشخص المتوفَّى على الوسادة الخشبية.

نعم يبدو ذلك؛ فالكاميرا تسجل وتلتقط كل شيء ولكن لو كانوا أقرباءً لذلك الشخص فلماذا لا يُبدون أي تأثر يذكر سوى شخصين في المنتصف، سيدة تخطّت الثلاثين، أو ربما مشارف الأربعين تبكي، وشاب في منتصف العشرينات بجوارها سارح متجهم بجوارها، أما البقيّة فهم يضحكون ويتبادلون أطراف الحديث معًا.

مهلًا... لقد بدأت الطقوس الجنائزية فبدأ ذلك الشخص، مهلًا إنه ذلك الشخص الذي رآه إيهاب عدة مرات من قبل أن يختفي، إنه يلقي الآن مياهًا مقدسة نحو المتوفَّى قبل أن يقوم أحد مساعديه بإلقاء بعض عيدان الكبريت ليحترق المتوفَّى.

إنها أول مرة يرى إيهاب تلك المشاهد؛ وهي إحراق متوفَّى، ولكن ردود أفعال ذلك الرجل العجوز الذي يلاحقه في كل مكان يذهب إليه إيهاب هو ما شد انتباه إيهاب في المقام الأول.

بدأت الأمطار في الهطول بشدة لدرجة أن حبات المطر تسقط على الأرض كما تسقط الحجارة من أعالي الجبال، أخرج إيهاب السترة التي تقِيه من المطر وتقي كاميرته من البلل.

وبدأ في تكملة ما يراه من بعيد، ولكنه مقربٌ من خلال عدسة الكاميرا، ظل المتوفَّى مشتعلًا رغم الأمطار، لم يحدث شيئًا، لم تطفَأ النيران، لم تتوقف، ظلّت كما هي.

ظل إيهاب يشاهد ذلك المشهد، وظلّ يركز على الرجل العجوز؛ فهو فقط يردّد ابتهالات وهو يشاهد النيران، لا يحدّثه أحد ولا يحدّث أحدًا من المساعدين،

كأنه ليس هنا.

اكتمل احتراق المتوفَّى حتى أصبح مجموعة رماد، وبدأ المساعدون في تجميع الرماد ووضعه في قارورة، وذلك العجوز لا يفعل شيئًا سوى ترديد كلمات غير مفهومة، أو على الأقل بالنسبة لإيهاب.

الأمطار الغزيرة لا زالت تسقط بقوة، وضع إيهاب كاميرته في شنطة وهَمّ بالمغادرة.

كان قد مر بضع ساعات من الأمر؛ فظل ينظر هنا وهناك لعله يجد الجروب فلم يجد أحد، فأدرك أنهم قد عادوا إلى الهوستيل؛ فهَمّ مسرعًا نحو العودة إلى مكان الإقامة.

لديه كنز الآن من الذكريات التي لم يرَها من قبل، لديه حدوتة جديدة يحكيها لأصدقائه في مصر، أو ربّما لأحفاده بعد سنين قادمة.

ولكن هذا الرجل هو سر غريب؛ فهو يراه حتى الآن ثلاث مرات ولا يدري أي شيء عنه، ولكن يشعر إيهاب بأن ذلك الشخص خطر، خطرٌ ما يأتي منه، شرر من اللا أمان تراه في عينيه.

ذهب إيهاب بخطوات مسرعة نحو الهوستيل حتى يتفادى كمّ الأمطار، كما أن الوقت قد تأخر كثيرًا.

"إيهاب، توقف نحن هنا"

صوت عربي وسط اللغة النيبالية، إنها نُزهة تنادي على إيهاب من داخل غرفة صغيرة على الطريق، مطعمٌ شعبي نيبالي كان يجلس به الجروب بالكامل.

فهد: أين كنت يا إيهاب؟ لقد بحثنا عنك في كل مكان ولم نجدك، اعتقدنا ربّما أنك عدت إلى الهوستيل بعد أن انفجرت السماء بتلك الأمطار.

جورج: أين ذهبت؟! في ثانية كنت بجواري عند بئر المياه المقدسة، ثم الْتفتُّ فلم أجدك.

إيهاب: إنها قصة طويلة، سأحكيها لكم عندما نعود إلى الهوستيل، ها هل

أكلتم من دوني؟

نزهة: طلبنا طعامًا للجميع، كُل معنا؛ فالأكل يكفي الجميع.

نزل الطعام للجميع وبدأ الكل في الأكل، كانوا سعداء؛ فالرحلة تدعو للسعادة والمغامرة والاستكشاف لكل ما هو جديد، وبالطبع اليوم التالي ستكون هناك مغامرة أخرى لهم.

انتهى الجميع وتحركوا عائدين نحو فندق الإقامة، أو ما يسمى «الهوستيل» ومتجهين نحو غرفهم، ولكن قبل ذلك جَمَع إيهاب نزهة وجورج في صالة الهوستيل؛ ليحكي لهما ما حدث ورآه عن مراسل الجنازة عندهم، ولكن بالأخص يحكي عن ذلك الرجل الذي يراه في كل مكان أينما ذهب وحل.

إيهاب: انظروا إلى الكاميرا، لقد صوّرت جميع المراسم التي حدثت أمامي، ولأريكم أيضًا ذلك العجوز البشع الذي أراه في كل مكان منذ أن وطأت قدماي تلك البلد.

نزهة: ألم يحذرنا فهد وفادي من تصوير رجال الدين أو حاملي الحكمة؟!

جورج: نعم إيهاب، هذا خطر عليك أن تقوم بذلك.

إيهاب: وماذا فعلتُ لكل ذلك؟ فقط أخذت بضع صور من مكان بعيد لم يروني فيه، ولكن الأهم لي الآن أريد أن ترَيا ذلك العجوز؛ فشكله غير مريح على الإطلاق.

نزهة: أين هو؟!

بحث كثيرًا إيهاب في الصور، ولكن المفاجأة الكبرى ذلك العجوز لم يكن في الصور، نعم!

كانت الصور كما هي، بدأت من شخص متوفًّى يبدو في نهايات الأربعين على وسادة خشبية بجوار نهر ومحاط بورود برتقالية، ويدور حوله مجموعة مساعدين، فقط مجموعة مساعدين، لا وجود لذلك العجوز، وصور أخرى لمساعدين يقومون

بالحرق، ثم صور الحرق فصور هطول الأمطار مرورًا بأقرباء المتوفَّى.

حتى تحولت جثة المتوفَّى إلى رماد، ووُضع الرماد داخل قارورة، كل تلك الصور ولا توجد أية صورة لذلك العجوز الذي يطارد وجوده إيهاب في كل مكان يذهب إليه.

شعر إيهاب بالانزعاج كثيرًا، وتبدلت ملامح وجهه من الجدية الممزوجة بالإثارة لردود فعل نزهة وجورج إلى الشعور بمظهر السخيف الكاذب مفتعل القصص، أو ربما الذي يعاني من أمراض نفسية.

جورج: أين ذلك العجوز يا إيهاب؟ أنا لم أرَه في أي صورة!

إيهاب: لقد صوّرته، أنا لست كاذبًا، أقسم لكما بأنني صورته ورأيته بعينيّ، ولكن لا أجده الآن، أنا لست مجنونً...

نزهة: (مقاطعة حديثه) إيهاب، نحن لا نكذّبك، ربما تحتاج لبعض الراحة من عناء السفر.

إيهاب: لا نزهة، أنا رأيته جيدًا، ومتأكد أني صوّرته، أنا لست بمجنون.

ظهرت علامات التعرق على إيهاب، ليس من التعب، ولكن من الموقف السخيف الثاني الذي يحدث له في وقت قصير، يقال أن «الانطباع الأول يدوم» وإيهاب الآن أعطى انطباعًا سيئًا عنه بأنه يختلق قصصًا بداية من رؤيته لذلك الرجل حتى تصويره.

إيهاب لا يشعر بأنه بخير؛ فرغم برودة الأجواء إلا أن العرق ينساب من جبينه كأنه في أحد ليالي يوليو الحارة المقيتة في مصر.

هَمّ إيهاب بالنهوض والاعتذار منهما متجهًا إلى فراشه لكي ينام؛ فلم يبقى ما يُحكَى أو يقال الآن.

ربما وقت الانصراف مع خيباته إلى الفراش.

(٦)

صحى إيهاب من نومه كان الظلام يعم أرجاء المكان، وكان أيضًا الغريب في الأمر أن المكان كان خاليًا من النزلاء، تفقّد ساعته ليجدها متوقفة عند الساعة ٣,٠٠ صباحًا.

جسمه ثقيل من التعب والإرهاق وما حدث أمس، ولكن لماذا توقفَت الساعة؟ ولماذا لا يوجد أحد بالغرفة؟ كل شيء معتم.

نظر إيهاب إلى هاتفه الشخصي؛ ليجدها واقفة أيضًا عند الثالثة صباحًا.

«ما هذا؟!»

وقبل أن يبدأ في استيعاب ما يحدث له، وجد الباب الرئيسي للغرفة يُفتح ببطء، صوت تحرك الباب أرعبه كثيرًا.

الباب لا زال يُفتح ببطء؛ فيقفز سريعًا إيهاب نحو الباب ليغلقه بإحكام، ويعود إلى سريره فجأة ليجد ذلك العجوز بجوار سريره يجلس على الأرض.

جاحظًا عيناه ينظر نحوه ويرقد حول خاصرته طفل ميت، يتوقف قلب إيهاب رعبًا مما رأى وفَقَد النطق وهو يرى بعينيه ذلك الرجل قريب منه ينظر إليه بشذر.

لا يستطيع إيهاب الحركة أو الركض سريعًا خارج الغرفة، ولا حتى أن يبتعد في أي ركن في الغرفة، أو حتى الصراخ ليأتي أحد لينقذه.

كل شيء توقف حوله، ظل الرجل العجوز ينظر إليه ولا يحيد بنظره عنه،

حرك ذراعه في اتجاه الخارج، الْتفتّ إيهاب نحو الاتجاه الذي وجهه إليه. ليجد ثلاثة أفراد واقفين في الركن الأكثر ظلامًا من الغرفة، وهو الركن البعيد عن الشباك.

كانت امرأة بشعة المظهر وبجوارها رجل نحيف طويل القامة عليه علامات جروح على وجهه، بعضها حديث يسيل منه الدماء وأخرى قديمة تركَت علامات على وجهه، ويحمل طفلًا تجاوز الخامسة من عمره، جاحظ العينين يشبه الطفل الذي يحمله ذلك العجوز.

يلتفتُ سريعًا ليتأكد من تحليله للأمر؛ ليجد الرجل العجوز جالسًا، ولكن الطفل ليس على حجره.. «ماذا يحدث بحق السماء؟!»

بدأ أربعتهم يردّدون كلامًا غير مفهوم بالمرة، أو ربما بلغة لا يعلمها إيهاب، ولكنه نفس الكلام.. «كالا بكالا سيجما فوت».

ردّدوها عدة مرات، وبدأ صوتهم يرتفع حتى أصبح مزعجًا، كيف لا أحد يسمع ما يحدث ويتدخل ليوقف ذاك الجنون.. «كالا بكالا سيجما فوت».

أصبح الصوت أعلى بطريقة بشعة، وضع إيهاب يديه على أذنه حتى لا يسمع هذه الأصوات، أغمض عينيه.. «توقفوا، توقفوا».

هو لا يستطيع النطق، ولكنها الأصوات التي يردّدها في مخه، هو يريد أن يصرخ عليهم ليتوقفوا... وفجأة..

جورج: إيهاب، إيهاب ما بك؟ مَن يتوقف؟ لِمَن توجه حديثك؟!

استيقظ إيهاب فجأة ليجد كل شيء اختفى، وأن جورج بجواره، السلام يعمّ المكان، فلا وجود لذلك العجوز أو للرجل طويل القامة أو السيدة البشعة، لا وجود على الإطلاق.

ولكنه كان يرتعش، ربما أصابه فيروس هنا بسبب الطبيعة التي تتمتع بها نيبال؛ حيث أن الحيوانات خاصة القردة منتشرة في كل مكان وفي كل شيء.

يرى إيهاب جورج قد استدعى فهد ونزهة، هو يراهم يتحدثون ولكن لا يفهم

ما يقولون!

جورج: نقترح أن نأتي بطبيب؛ فهو لا يبدو حسنًا على الإطلاق.

فهد: هنا لا وجود لأطباء بالمعنى المفهوم، يوجد حكماء علاج بالأعشاب وغيرها، أما الأطباء هنا نادر وجودهم؛ معظمهم يذهب إلى الهند أو قرى الصين الجنوبية، وذلك للموروثات الشعبية.

نزهة: لن نتركه كذلك فهد، ألا ترى التعرّق، كما أنه لا يبدو بخير منذ وصولنا إلى هنا، يدّعِي أنه يرى أشياء لا وجود لها.

جورج: أقترح ان يراعيه واحد منا بشكل مناوبة، ويذهب الآخرون للتنزه وزيارة معالم نيبال.

نزهة: أوافق على رأي جورج، ما رأي فادي؟

فهد: سأتصل به وأتعرف منه على رأيه، وأعتقد أنه سيوافق، ولكن المناوبة ستكون بينكِ يا نزهة وجورج.

اتفقا ثلاثتهم على أن يكون بجوار إيهاب أحدهم بصورة مناوبة، ويقوم فهد بإحضار حكيم من القرية المجاورة للهوستيل؛ ليرى ما يمكن فعله بخصوص إيهاب.

كان عليهم زيارة مرتفعات جبال الإيفرست اليوم حسب جدول الزيارة، ولكنهم سيؤجلونها يومًا واحدًا ويقدموا زيارة المتحف؛ حتى يتسنى لإيهاب أن يصعد الجبل معهم.

بالطبع ليس لديهم الإمكانيات لصعود الإيفرست، ولكن هناك مرتفعات قريبة منها، يمكن السفر إليها ك»أنابورنا» أو «تشو أويو» وهي المرتفعات الأقل ارتفاعًا من ٨٠٠٠ متر ك «إيفرست و»ماكالو» و»دهاولاجيري» وغيرها.

بدأ إيهاب أن يعود للنوم ثانيًا، هو يقاوم النوم؛ لا يريد العودة لذلّ الحلم البشع مرة أخرى، ولكن رأسه ثقيلة جدًا، فهو يذهب الآن إلى النوم.

(٧)

أفاق إيهاب من نومه، ويبدو أنه أفضل قليلًا مما كان عليه منذ بضع ساعات، وجد أن نزهة بجواره تقرأ رواية ولا يبدو عليها بأنها انتبهت أن إيهاب قد أفاق حتى بدأ حديثه.

إيهاب: ماذا تقرئين؟

نزهة: إيهاب، كيف حالك الآن؟ أرجو أن تكون قد تحسّنتَ قليلًا، دعني أرى حرارتك، امم تبدو أفضل، ولكن حدّثتُ إدارة الهوستيل ستجلب أحد حكماء الأعشاب، أو ما يسمى طبيب العشب ليراك.

إيهاب: أشكرك نزهة، لقد أزعجتك وأرهقتك.

نزهة: لا إيهاب، لم تزعجني قط< فهذا واجب، ومتأكدة لو كنت أنا في مكانك ماكنت تأخرت عني للحظة.

إيهاب: بالتأكيد صديقتي العزيزة، ها لم تقولي لي ما هذه الرواية؟ فأنا عاشق للقراءة أيضًا مثلك.

نزهة: إنها رواية لكاتب مصري يُدعى شريف عثمان اسمها «صفية».

إيهاب: لم أسمع عنه من قبل؟ عن ماذا تتحدث؟

نزهة: تتحدث عن فتاة اسمها «صفية» تترك بلدها وتذهب إلى فرنسا؛ فتواجه عديد الأحداث المثيرة من قتلٍ وسرقة واغتصاب وغيرها، الرواية مثيرة حقًا حتى

الآن، ولكني لم أنتهِ من قراءتها.

إيهاب: أيمكنني استعارتها عندما تنتهين منها؟

نزهة: بالطبع، أنا أؤمن بأن الأعمال الأدبية والثقافية لا يجب أن تحتفظ بها للتكنيز كالذهب والأصول المادية، بل يجب أن تتداول من يد لأخرى لتعود الفائدة على الجميع.

إيهاب: بالتأكيد نزهة، كلامك صحيح، فالكتّاب والمثقفون لا يموتون؛ لأن أعمالهم تتواجد هنا وهناك... أين جورج والبقية؟

نزهة: إنهم اليوم في المتحف الوطني، أو ما يسمى «كاتاماندو».

إيهاب: ألم يكن البرنامج اليوم الذهاب إلى مرتفعات الإيفريست؟

نزهة: نعم كان كذلك، ولكن قررنا أن نؤجله حتى تكون معنا، وأعتقد أن مسألة المتحف بسيطة؛ فيمكننا الذهاب كلانا هناك قبل السفر بعدة ساعات.

إيهاب: أشكرك على كل شيء نزهة.

نزهة: لا داعي للشكر إطلاقًا، أتحب الرسم؟

إيهاب: نعم، أنا رسام، وكنت أريد الالتحاق بكلية الفنون الجميلة قبل أن يضغط عليّ والِدِي وإخوتي لدخول كلية الهندسة؛ لأن مجموعي في الثانوية العامة كان مرتفعًا، ولكن كيف عرفتِ؟

نزهة: أنا آسفة للتطفل، ولكن أثناء فتحي لشنطتك للبحث عن منشفة أمسح بها تعرقك وجدت عدة رسومات لك، إنها جميلة.

إيهاب: أشكركِ كثيرًا وليس تطفلًا، هي مجرد صور رسمتها في المطار وفي الطائرة، مجرد تسلية ليس إلا.

نزهة: إيهاب سامحني في فضولي، ولكن مَن هو ذلك الشخص الذي كنت تتحدث عنه في البداية؟ أثناء خروجنا من المطار، ثم الصور المزعومة.

إيهاب: إنه موضوع سخيف نزهة، دعكِ منه.

نزهة: لا ليس سخيفًا، جدتِي رحمها الله كانت دائمًا تجمعنا حولها عند زيارتها قبل أن تذهب للحج وتحكي لنا عن قصص حجّها السابقة، بأنها عند مشعر رمي الجمرات كانت ترى دائمًا أشخاصًا طوال، بيض البشرة وشعرهم كالحرير على الرأس، شكلهم لا ينتمي للآخرين، كانت دائمًا تحكي لنا بأنها كانت تقول لجدي ذلك هناك، ولم يكن يراهم، ولكنه صدّقها، لم يكن أبدًا يكذّبها، دائمًا كانت تقول لنا لا تكذّبوا أحدًا، فقط تعاملوا بطبيعتكم مع الجميع حتى يثبت لكم عكس ذلك.

إيهاب: وهل كنتم تصدقونها؟

نزهة: لا لم نقتنع بكلامها، ولكن لم نكذبها، حتى كانت على فراش المرض وكانت آخر كلماتها «إنهم هنا، لقد أتوا ليوصلوني لداري الأخيرة.. الدار التي سأرتاح بها من عناء المرض».

إيهاب: وهل تصدقونها الآن؟

نزهة: بالطبع نعم، لا أحد يكذِب وهو قريب من الموت، الموت له رهبة وجلالة يا إيهاب.

إيهاب: نزهة، هاتي لي ورقة فارغة وألواني من الشنطة؛ سأرسم لكِ صورة الراجل العجوز.

(٨)

دخل إلى الغرفة رجل طاعن في السن ومعه الريبشنيست للهوستيل، وهو من أبناء البلد، وهو يعلم الإنجليزية بطلاقة بحكم عمله، ووجوده بالتأكيد ليشير لمكان المريض وترجمة ما سيقوله الحكيم بالأعشاب.

موظف الريسبشنست: هذا هو حكيم الأعشاب، أتى لرؤيتك، يدعى «باتول لاهيتشاني»، هو معمّر؛ عمره ١٠٢ سنة، يعمل في هذه المهنة وراثة عن أجداده منذ ٦٠ عام مضَت.

نزهة: هذا شيء جميل حقًا، ولكن لماذا بدأ العمل متأخرًا؟ في حديثُك هو قد بدأ المهنة بعد أن تجاوز الستين عامًا؟!

موظف الريسبشنست: نعم صحيح، نحن هنا لا نمارس الأمور المتعلقة بالحكمة إلا بعد أن نصل إلى عمر الخمسين عامًا؛ فهو قبلها كان مساعدًا لوالدته، والآن ابنته هي المساعدة له، هي أنتيمَه الآن؛ فقط تأتي بصندوق الأعشاب من سيارتها الكارّو.

إيهاب: جميل، ضمنّا أنه لا توجد حقن أو إشاعة أو غيرها.

موظف الريسبشنست: أخي، إنهم يأخذون هذه المواضيع بجديّة تامة، ولا يحبون الاستخفاف بهم أو بمهنتهم، لو ترى كمّ القرويين أمام منزله انتظارًا للكشف لأمراض عندهم لما بدر إلى ذهنك التعليق بذلك.

إيهاب: آسف لم أقصد الإساءة مطلقًا، كل الاحترام لهم ولك.

موظف الريسبشنست: لا عليك، فقط جارية في الأمر، وإن لم تشفَ يمكنني أن أدلك على مكان طبيب في العاصمة، ولكنني على ثقة بأنه سيشفيك، سأقوم بالترجمة لكما.

وبالفعل دخلت الابنة بصندوق خشبي قديم، فتحَته وجلست بجوار والدها، كان يبدو عليها أنها تعدّت الخمسين من عمرها، أي مهنة هذه التي تبدأ بعد أن ينطمس العمر!

بدأ بالفعل الحكيم بالأعشاب «باتول» في لمس مرفق إيهاب، ثم وضع إيهاب للنوم على بطنه، وبدأ في لمس عموده الفقري بشدة وعنف، سبب صراخ إيهاب من الوجع.

لم يعتقد أن الأمر قد يصل إلى ذلك، وكانت نزهة تتابع بشغف هذه التجربة، بل وقامت بتصوير الأمر من خلال هاتفه المحمول.

كان يعلم ماذا يفعل، وصل بيديه نحو رأس إيهاب، وبدأ في الضغط قويًا عليه؛ مما سبّب احمرار شديدًا في رأسه، ثم أتى بقطعة قماش من الصندوق وخشبة صغيرة وتمتم لابنته ببضع كلمات نيبالية؛ فأخرجت العشب اللازم من الصندوق.

وضعها على رأس إيهاب، ثم لفّ العشب ورأس إيهاب بالقماشة، واستخدم الخشبة للفّ القماشة بقوة دفّت إيهاب للارتجاف، ثم أغلق عينيّ إيهاب بيديه، ووجّه حديثه لموظف الريسبشنست ليقوم بالترجمة.

موظف الريسبشنست: إنه يقول بأنه مجرد دُوار موسميّ جراء هطول الأمطار عليه بشدة وهو غير معتاد على تلك الأجواء، وضع له عشبًا سيمتص الرطوبة، بعد أن أخرجها من ظهره فوصَلَها لمخّه، وحان وقت عمل العشب ليسحب الرطوبة، تلك الأعشاب لونها أخضر ناضر، اتركوها تعمل براحتها، وعندما تصبح هذه الأعشاب بُنيّة اللون يخرجها من رأسه، وتُوضَع بعدها في مياه ساخنة ثم تُشرب ساخنة.

استغربَت نزهة من الأمر، ولكنها لا عليها شيء سوى تنفيذ الأمر.

نزهة: سأظل بجانبه أتابع العشب، وبعد أن تصبح لونها بنيًا سأقوم بوضعها في مياه ساخنة، ولكن هل أنت واثق من هذا الأمر يا... ما اسمك؟

موظف الريسبشنست: اسمي «براجاثابا»، نعم أنا أثق به ثقة عمياء؛ فهو قد شفى والدي وأقاربي جميعًا.

نزهة: أشكرك سيد «براجا»، سأقوم بالأمر.

همّ الحكيم المعمر بالقيام، وكانت ابنته تنسّق الصندوق الخشبي استعدادًا للرحيل، بينما كانت تخرج نزهة من محفظتها «الروبيا النيبالية»؛ لتحاسب الحكيم عبر موظف الهوستيل «براجا».

وكان إيهاب مغلقًا لعينيه يذهب إلى النوم، ولكن لفت نظر الحكيم «باتول» الرسمة التي رسمها إيهاب لنزهة؛ ليريها ذلك العجوز الذي يراه دائمًا.

بدأ في النظر إليها كثيرًا بدون أن ينطق بشيء، ولكنه ظل مستغربًا كثيرًا، تارة ينظر جيدًا للرسمة وتارة أخرى نحو إيهاب.

فضول الحكيم «باتول» دفع ابنته للنظر نحو الورقة التي بها الرسمة؛ ليتمتم لها الحكيم ببضع كلمات يسمعها «براجا».

براجا: إنه فقط يتساءل مَن رسم هذه الرسمة؟

نزهة: إنه إيهاب، رسمها وانتهى منها منذ دقائق قبل دخولك مع الحكيم.

براجا: يتساءل الحكيم ولماذا رسمها؟

نزهة: إنه موضوع سخيف نوعًا ما، أعتقد أن الأمر ليس مهمًا.

براجا: لا، هو يصِرّ أن يعرف لمصلحة إيهاب.

نزهة: لا أعلم بالضبط، ولكنه منذ وصولنا إلى «نيبال» يرى إيهاب أو يدّعِي أنه يرى ذلك الرجل أينما حلّ، وحاول عدة مرات أن يشير لنا به، ولكننا أقصد بالطبع أنا وباقي المجموعة لا نراه، حتى أنه وقت هطول الأمطار بغزارة رآه وادّعى أنه صوّره، ولكن عندما أرانا ما صوّر لم نجده، فتبادلنا منذ قليل الأمر؛ فأصر أن

يرسمه لي على سبيل تضييع الوقت لا أكثر، لم أعتقد أن الأمر مهم على الإطلاق.

براجا: هو لم يرد على ترجمتي له، ربما الأمر ليس هامًا، أو أُعجب بالرسم.

نزهة: لماذا لا تسأله عن الأمر؟

براجا: هنا سيدتي إن لم يجِب فلا داعي للإلحاح في الأمر!

بعد أن سمع الحكيم «باتول» الترجمة لحديث نزهة أبدى انزعاجًا كبيرًا أثار فضول نزهة كثيرًا، ولكنه ترك الورقة التي بها الرسمة في نفس المكان بجوار إيهاب وفتح الصندوق الخشبي بنفسه، وأخرج منه كرة عشبيّة لونها بني، ووضعها في فم إيهاب الذي استغرق في النوم، ووجّه حديثه نحو «براجا» وطلب منه أن يوصِل لنزهة أن تُبقِي هذه الكرة في فمه بدون إخراجها حتى تذوب في فمه، هي رائحتها كريهة، ولكن يجب أن لا يخرجها من فمه نهائيًا.

أخذت ابنة الحكيم الصندوق وهمّت بالخروج من الغرفة للخارج، وتبعها «براجا» ثم الحكيم متثاقل الخطوات لعوامل العمر والسن.

خرج ليترك كثيرًا من التساؤلات في عينيّ نزهة، والتي منذ قليل كانت تستخف بالأمر، ولكن الآن يبدو أن الموضوع جديّ لأقصى درجة ممكنة.

يبدو أن إيهاب كان على حق منذ البداية، اقتربَت نزهة وبأيدي تملؤها الرهبة أمسكت الرسمة لتنظر لها ثانيَة؛ لعلها تجيب عن ما رفض التعليق به الحكيم «باتول».

وفي مخيلتها «يبدو أن الأمر سيصبح سيئًا أكثر ما يبدو»!.

(٩)

أثناء ذلك في القاهرة كان يومًا آخر من العمل الشاق والمرهق في شركة «الوايلي» للديكورات لمالكها والد إيهاب، حيث كان الأخ لإيهاب هو مالك الوايلي.

الأجواء رغم ظروف العمل المليئة بالأحداث المتتالية، إلا أن الأجواء حزينة لوفاة محمد الوايلي الأخ الأكبر لإيهاب، والذي كان يحمل كل ظروف العمل والحسابات لوالده والعائلة.

ولكن الوضع الآن تغيّر؛ فالابن المدلّل مالك أصبح الآن يحمل على عاتقه كل أمور العائلة.

الأب بعد وفاة الابن زهد كل شيء، زهد الحياة وأصبح يخاف أكثر على اولاده مالك وإيهاب، سحَب سيارتهما الاثنين، ووضع سيارة واحدة بسائق لكليهما، نعم هو يعلم أن «أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة» صدق الله العظيم.

ولكن حادثة ابنه الأكبر الذي كان متجهًا في رحلة إلى مدينة العين السخنة فاصطدم به أتوبيس سياحي، ليس ذلك فقط، بل وهو يصارع الموت خرج بضع أشخاص من اللا شيء في الصحراء سرقوا محفظته وهاتفه المحمول وكل ما قلّ وزنه وغلى ثمنه أمام عينيه وهو يصارع الموت، وتركوه حتى من دون أن يطلبوا النجدة له، وفروا من مكان الحادث.

تغيّر الوالد بعد الحادث، انكسر وأحس أن ظهره يؤلمه، هو مقاتل، وإن لم

يكن مقاتلًا لكان الآن في عداد الأموات، ولكنه لا يريد شيئًا الآن.

كان يوجّه جزءًا من أمواله نحو دور أيتام وتجهيز عرائس أيتام للزواج؛ فأوقف كل شيء، أحسّ بطعنة وغدر؛ فإن كانت أعمالكم تسلط عليكم، كيف ذلك وهو لم يفعل إلا الخير؟! فيجب أن يكون الجزاء من جنس العمل، ولكن ما حدث لابنه ليس أبدًا من جنس لعمله.

مالك ابنه المدلّل الذي لا يبقى في مصر كثيرًا يسافر هنا وهناك لا يترك بلدًا لا يسافر له، كثير العلاقات العاطفية؛ مما سبّب لوالده وإخوته الكثير من الإحراج؛ فهو يرتبط بتلك الأرملة وتلك العزباء وتلك المتزوجة...الخ.

مريض علاقات عاطفية، ولكنه لم يجبِر إحداهن على الارتباط به، ولم يكذب على إحداهن أبدًا، بل كان واضحًا وصريحًا في علاقاته.

الآن عليه البقاء في الشركة؛ ليدير أعمال العائلة، فلم يعد يقوَى الأب أن يمارس عمله الدائم، وبعد وفاة محمد الذي كان عقل وقلب العمل النابض أصبح مالك هو المنوّط بالأمر كله.

أما إيهاب فهو مهندس اتصالات في شركة خاصة، ولا يستطيع أن يلقي بكل ما درسه وتعلّمه ليلقيه وراء ظهره ويدير أعمال والده، ليس ومالك موجود على الأقل.

مالك يمارس عمله مجبرًا لا مخيّرًا، يشعر بالضجر؛ فمكانه الآن على أحد شواطئ إيطاليا مع صديقته الإيطالية، ولكنه يجلس الآن في الشركة يتابع الحسابات وحركة المبيعات.

مالك: ألو، كيف حالك الآن يا أبي؟ أرجو أن تكون صحتك على ما يرام.

الوايلي: أنا الحمد لله بخير، ألم يتصل أخوك محمد من الإمارات، ألم يطمئننا عليه.

مالك: أبي تقصد إيهاب!

الوايلي: نعم، أنا قلت إيهاب، فمن أقصد؟! ألا يوجد غيره الآن.

مالك: آه، لا لم يتصل، ما حكاية الإمارات؟ ولماذا لم يخبرني أحد بذلك.

الوايلي: كل شيء حدث سريعًا؛ فهو أخذ ترقية في عمله ورُشّح للتدريب في فرع الشركة في الإمارات لمدة سبعة أيام، وربّما يبقى هناك للعمل، وأتمنى أن يُقبل هناك؛ فأجواء العمل هناك طيبة وجيدة، وسأكون مرتاحًا لتواجده هناك؛ فلن يجد هناك سوى العدل والمعاملة الجيدة، الإماراتيون يحبوننّا كثيرًا وسيجد نفسه وسط عائلته التي سترعاه وتخاف عليه.

مالك: مهلًا أبي قليلًا، من قال لك أن هناك تدريب في الإمارات يكون لمدة سبعة أيام فقط، مستحيل؛ فالتدريب هناك وإن كان تدريبًا بالفعل أو حتى للبحث عن عمل يستغرق ما لا يقل عن ٣٠ يومًا!

الوايلي: ماذا تعني بحديثك ذلك؟! فليس كل الناس مثلك، دائمًا الإنسان يرى بعين نفسه، فهو ملتزم عنك؛ فلن يخترع قصة ما ليسافر مع إحداهن.

مالك: أبي، لماذا تتعمد التجريح فيّ بهذه الطريقة؟ أنا فقط تساءلت عن جدوى السبعة أيام تلك، وعامة بقي عدة أيام وسيرجع ونعرف منه المزيد من الأمر.

الوايلي: لا تنزعج مني بُنيّ؛ فأنا لم أقصد ذلك، ولكن قلقُ قليلًا على أخيك وهاتفه مغلق دائمًا، حاول معه ثانيَة وأعلمني بالأمر.

أغلق الهاتف مع والده وانتبه كثيرًا لمسألة الثقة المفقودة معه، فهو يعلم أن الكلام الذي قاله إيهاب لوالده غير صحيح بالمرة وساذج، وربما قد صدّقه والده، ولكنه لن يصدقه هو، ولكن ماذا عساه يفعل؟! فهو الوحيد وسط العائلة الذي فقد مصداقيته رغم أنه لم يفعل شيئًا يثبت ذلك.

عندما كان يسهر بالخارج كان الأهل يعرفون ذلك، ولكنهم لا يعرفون إلى أين يذهب، ولكنه لم يكذب.

عندما كان يسافر للخارج فكانوا يعلمون إلى أين يذهب، سواء إيطاليا أو فرنسا، وأحيانا لبنان والجزائر وغيرها، فكانوا أيضًا يعلمون أنه مسافر، مثله مثل الأجانب، لم يدّعي شيئًا ليس فيه، ولكن ما كان يحدث في أسفاره فهو شيء شخصي بحت، لم يكن أحد يعلمه حتى المقربين من أصدقاءه.

الآن هو يتساءل وهو يعلم أن حجة سفر أخيه الأصغر إيهاب غير صحيحة، ولكن لماذا؟! فهل أحَبّ فتاة وذهبا معًا عدة أيام للسفر؟ ربّما... وربّما لا، هذه ليست من شيَم أخيه، هو ليس كذلك بالمرة.

تكون فعلًا أجازة للهروب من الأجواء الحزينة بحجة الذهاب للتدريب أو للعمل؟ ربَما وإن كان يرجح ذلك.

هاتفه مغلق، ماذا عساه أن يفعل في ذلك الأمر؟

نعم.. وجد طريقة لحل هذا اللغز، يفتح صفحة على موقع التواصل الاجتماعي الفيسبوك ويبحث لعله يجد أي شيء يدل على مكانه، أو سبب سفره.

موسيقى لعُمر خيرت وعدة إعادات للنشر لأصدقاء لإيهاب، هو رأى برنامج CATFISH الأمريكي ومتيم به.

نعم هو برنامج أمريكي عبارة عن اثنين من الباحثين يبحثون في العلاقات المجهولة من مواقع التواصل، فلو فرض أن شابًا أمريكيًا قد ارتبط بفتاة ما من على مواقع التواصل، ولكنه يَرتَبُ في أمرها، فما عليه سوى مخاطبة البرنامج فيقوما الباحثان بالجلوس مع ذلك الشاب والسماع منه عن سبب الارتياب والبحث وراء الفتاة.

وغالبًا كانوا يجدون أشياء مثيرة ومفاجآت كثيرة منها أنها ليست صورة الفتاة، أو أنها لا تسكن في الولاية التي حدثته منها، أو أنها عجوز في السن وتدّعِي أنها فتاة صغيرة وغيرها.

مالك رأى البرنامج وحلقاته، بل مواسمه بالكامل، تعلم أشياء كثيرة من البرنامج، ما كان عليه سوى قراءة كل التعليقات مع أصدقاء إيهاب؛ ليرى من هو الأقرب لأخيه إيهاب، فيهُمّ بالفعل ساعات من التصفح، وجد عدة أصدقاء مقربين منهم صديق يدعى «عادل فوزي».

نعم يتذكر ذلك الاسم جيدًا؛ فهو أخ لضابط شرطة يدعَى هشام قُتِل في حادثة تعصُّب دينيّ بالمنيا منذ عدة سنوات.

العلامة الخضراء حول صورته مما يعني أنه «أون لاين» الآن.

مالك: أهلًا بك أخي عادل، أنا مالك الوايلي الأخ الأكبر لصديقك إيهاب الوايلي، هل تعرفه؟

عادل فوزي: أهلًا وسهلًا أخي مالك، بالطبع؛ فهو صديقي المقرب، كيف حاله الآن؟ أرجَعَ من سفره.

مالك: لا.. لا زال بالسفر، وأبي قلق كثيرًا عليه؛ لأنه لم يتصل به ليطمئنه، ألم تحدثه؟

عادل فوزي: لا للأسف، لم أحدّثه وهو لم يحدّثني، ولا أعتب عليه؛ لأن الإرسال هناك ضعيف كثيرًا.

مالك: في الإمارات؟! الإرسال ضعيف في الإمارات، من قال ذلك؛ فقد ذهبت عدة مرات هناك، الـ WIFI في كل مكان هناك، ربما لا يوجد برنامج Viber لمنعه من السلطات هناك، لكن باقي التطبيقات موجودة!

عادل فوزي: مهلًا مهلًا أخي مالك، الإمارات؟! أنا أعرف أنه سيحلّ ترانزيت هناك في مطار دبي، ولكنه ليس في الإمارات!

مالك: أنا لا افهم، لقد قال إنه في الإمارات، ليس لي؛ لوالده بالطبع.

عادل فوزي: الإمارات؟! امم لا لم يحدّثني في الأمر، ولا أعلم عنه شيئًا.

مالك: أرجوك عادل لا تخفي عني شيئًا، أقسم لك بأني لن أقول لأحد بأي شيء ستبوح به.

عادل فوزي: لا حقيقة لا أعلم شيئًا.

مالك: عادل، أنت تعلم جيدًا ما نمر به، وأعني حرفيًا أنك تعلم ماذا نشعر به؛ فلقد مررتَ به منذ استشهاد أخيك هشام، وتعلم أني مهما عرفتُ منك بأني لن أضر أخي بشيء؛ فهو أخي، ولكن يقينًا لن أسامحك إذا علمتُ بأن هناك أمرًا أخفيتَه عني قد أضر أخي، أنت تعلم بأن أخانا الأكبر محمد قد مات؛ فأرجوك لا تكُن سببًا لفَقدِ أخي الآخر وصديقك، كما أن أبي لن يتحمّل الأمر

وهو في ذلك العمر، أرجوك.. أتوسل لك.

عادل فوزي: أنا لم أعتد أن أفشي أسرار اؤتمنت عليها، خاصة ومن حديثك أن صاحب الشأن نفسه لم يسردها لكما، ولكن ما سأقوله أرجوك لا تبُح به لإيهاب؛ حتى لا يتطور الأمر بيننا وأفقد صداقة كثيرًا ما أعتز بها.

مالك: أقسم لك برحمة أخي محمد بأني سأتعامل مع الأمر بمنتهى الحكمة والهدوء، ولن تخرج من أي فعل أو رد فعل يدحض مصداقيتك عند أخي إيهاب.

عادل فوزي: إيهاب سافر إلى نيبال في رحلة للاستكشاف والاستجمام؛ ليبتعد عن الأجواء الحزينة التي مرّ بها الفترة السابقة، ولكن لا أعلم أي شيء آخر عن الأمر.

مالك: نيبال؟! نيبال الدولة التي في وسط شرق آسيا؟! لماذا تلك بالتحديد؟ ولماذا أخفى الأمر؟

عادل فوزي: أنا لا أعلم السبب غير الذي قلته لك، ولا أعلم خلاف ذلك.

مالك: أشكرك على وقتك، ولكن رجاء أعلمني بأي شيء إذا حدث أي مستجد، أو علمت أي شيء، وأنا على وعدي معك بأني لن أدخلك في الأمر مهما حدث.

عادل فوزي: بالطبع، سأعلمك بأي جديد يطرأ وسأحاول محادثته؛ لعله يجيب عليّ، بالتوفيق.

أنهى كلاهما المحادثة، وتَرَكَت تلك المحادثة الكثير من القلق لدى قلب مالك، وبالطبع لن يبوح بتلك المحادثة لوالده؛ فهو يعلم أن مجرد علمه بالأمر فإنه سيقضِي عليه.

لذلك سيحاول أن يبحث عن أخيه بهدوء وبدون إثارة القلق والشكوك.

«نيبال؟!»

(١٠)

يوم آخر وصباح آخر في نيبال، كان الجميع قد تجمّع أمام الفندق استعدادًا للرحيل نحو قمة إيفريست، والتي أجلوها يومًا بسبب مرض إيهاب، الكل تجمع عدا إيهاب، كان الجميع يساوره الشك في إمكانية رحيل إيهاب معهم على الأقل وهو بحالته الصحية تلك.

كما أن هذه الرحلة تتطلّب الكثير من الطاقة والقدرة على التحمّل؛ فلا تبدو بسيطة كما تظهر في الأفلام التي تناولت الأمر.

الجميع كان يجهل ذلك عدا فادي بحكم أنه يتعامل في نيبال كما لو أنه في لبنان، وبالطبع فهد الذي سافر عدة مرات خاصة دول شمال ووسط وغرب آسيا؛ فيعلم أن الأمر شاق جدًا.

تجمع الجميع في بهو الهوستيل، وكلًا منهم يجهّز حقيبته الـ Back Bag ويسمعون إرشادات فادي.

فادي: يا شباب، ركزوا معي منيح، سنذهب الآن في رحلة ستستغرق عدة أيام لصعود محيط جبال الإيفريست، وأعني محيط؛ لأن الصعود إلى قمم الإيفريست تحتاج إلى كثير كثير الأشياء، وهي ليست متوفرة لنا.

نزهة: لماذا غير متوافرة لنا؟

فهد: سأقوم أنا بالرد بديلًا عن فادي، يا نزهة، الصعود إلى قمم الإيفريست كما أنها رياضة من جهة تحتاج إلى سنين وسنين من التدريبات الشاقة، والتدريبات

أيضًا على قمم جبال أقل ارتفاعًا حتى تصلي بتدريبك إلى كأس العالم؛ لصعود المرتفعات وهي الإيفريست.

كما أنها تتطلب تدخلات طبية بسبب نقص الأكسجين، بجانب أنها خطيرة بسبب الأمواج الثلجية، بجانب أيضًا...

فادي: بجانب المعدات اللازمة للتسلق وهي تحتاج مبالغ هائلة، أنا تسلّقت مرة من قبل، وقد كلّفني ذلك الكثير من الأموال؛ لذلك الموضوع يتطلب الكثير من الوقت والأموال والتدريبات.

نزهة: آه، وضحَت الفكرة، وهل باستطاعة إيهاب الذهاب؟

إيهاب: أنا هنا، وبكامل صحتي، وأستطيع الذهاب معكم.

جورج: حمدًا لله على سلامتك إيهاب، كيف تشعر الآن؟

إيهاب: أنا بخير جورج، وسمعت حديث فادي وفهد، وأستطيع المقاومة والذهاب.

فادي: إيهاب أخي، حمدًا لله على سلامتك، ولكن تسلق المرتفعات والهضاب ليس بالأمر الهين، مليء بالصعوبات ويحتاج مجهودًا شخصيّ معافًا تمامًا.

إيهاب: لا تقلق فادي، بالعلاج الذي أعطاني إياه الحكيم كان كالسحر، أنا أشعر بأني بخير، وأستطيع التسلق وغيرها من الأمور.

فادي: إذًا هذا شيء جيد، دعوني أكمل لكم ما تحدثت عنه منذ قليل، الحقيبة الـ Back Bag احرصوا على أن تحوي منشفة، عدة زجاجات مياه معدنية؛ لأن المياه أعالي المرتفعات باهظة الثمن جدًا تتعدى الـ $٤ للزجاجة الصغيرة، بجانب ذلك زجاجة مياه فارغة وحبوب لتنقية المياه، وسناكس كثيرة لأنكم ستحتاجون لكل الطاقة الممكنة مثل سنيكرز، مكسّرات مثل اللوز وغيرها.

فهد: ورجاءً توجد «معاليق» كثيرة في الطريق للصعود، أو ما تسمى «ليكس»، البسوا شرابات طويلة غطوا بها أرجلكم وجسمكم جيدًا.

انتهوا جميعًا من تحضير حاجتهم، وبدأوا في الانصراف نحو رحلة صعود

المرتفعات والتي تظل لعدة أيام، هي رحلة شاقة ومتعبة، ولكنها ستترك ذكرى جيدة، كما أنها ستعيد تكوين شخصيتهم؛ ليرجعوا إلى بلادهم أشخاصًا آخرين خلاف ما أتوا عليه.

اتجهوا جميعًا نحو ركوب وسيلة مواصلات كالعادة منذ أن أتوا لهذه البلد مكتظة بالمحليين، نزلوا في مكان قريب من نهر جارٍ، وكان بانتظارهم دليل من السكان المحليين ومركبة تجديف صغيرة تسع لستة أشخاص، وعرفوا من خلال فادي بأنها رحلة تسمى Rafting رافتنج في قارب مطاطي.

فادي: سنركب جميعًا في هذا القارب ومعنا الدليل بعد أن نرتدي الجاكت المطاطي، وسنمرّ في هذا النهر، ويجب أن نعمل جميعًا كوحدة واحدة وحركة تجديف واحدة، والدليل سيعلّمنا الآن إشارات دولية متعارف عليها، سنقوم بحفظها جيدًا، وهي للحركة وللتسريع والإيقاف والسير يمينًا ويسارًا، ولوضع الرأس للأسفل حتى نتفادى الأمواج.

فهد: سينضم لنا في رحلتنا «كَابِل» إنجليزي، أرجوكم حيوهما وأشعروهما بأنهما معنا دومًا، وليسا دخلاء علينا، هما «شون» و»ماديا».

بالفعل بدأت المجموعة والتي أصبحت سبعة الآن مع الدليل في الحركة في النهر، وكان الجميع يجدّف ويقف عن التجديف عند الهبوط لمنحنى مائي يوشك أن يقلب المركبة المطاطية بمَن عليها.

إيهاب: لماذا يا فادي لم نسلك طريقًا بريًا أسهل من ذلك؟

نزهة: نعم، أشعر بأني استنفذت كل طاقتي في التجديف!

جورج: كثيرًا، هل سنقوى بعد ذلك على تكملة رحلة الصعود إلى المرتفعات بعد ذلك؟

فادي: (يملأ بالجدية والثقة) سأدع شون يشاركنا الأمر، حتى يشعر أنه خارج المجموعة، هو فعلَها عديد المرات، والجميل في الأمر كلكم تعلموا الإنجليزية جيدًا.

شون: أهلًا بكم يا شباب، لقد ترجم لي الصديق فادي الأمر من العربية، وطلب مني أن أجيب عن الأمر بمنتهى البساطة، الرافتنج وما يصحبه من شقاء، ولكنه مريح لأنكم تختصرون مسافة ما يقرب من ٦٠ كيلومترًا؛ لأنكم الآن بين أسفل باطن الجبل، وستنتهون عند أول قرية ملاصقة للطريق نحو الجبل.

ماديا: في بداية الأمر منذ ما يقرب من عشر سنوات، اتخذنا قرارًا أنا وشون بأن لا نقوم بالرافتنج لخوفنا من الأمر؛ فاتخذنا الطريق البري، وكانت رحلة مليئة بالشقاء لأقصى حد، وقُمنا بعد ذلك بالرافتنج، وعلمنا حينها الفارق.

نزهة: عشر سنوات! آسفة للتطفل، وكم مرة زرتما نيبال؟

ماديا: لقد تعرفنا على بعضنا البعض هنا أنا وشون، شون دكتور أمراض عصبية، وأنا كنت مستكشفة، ومنذ حينها ونيبال تحمل لدينا ذكريات طيبة، نأتي إلى هنا تقريبًا سنويًا.

جورج: أتعيشون في إنجلترا؟

شون: لا إطلاقًا، نعيش في «ملهى» بالهند، ونأتي لزيارتنا السنوية هنا في نيبال.

هنا ارتعش جسد نزهة كثيرًا وسقطت في المياه، فلم يكن من إيهاب إلا أن ترك المجداف وألقى بنفسه في المياه؛ لينتشلها من المياه ويصعد بها إلى المركب المطاطي مرة أخرى.

صعد إيهاب إلى المركبة، وكان الجميع منهمكين في التجديف، وضح أن الأمر اعتيادي ويحدث، وتساؤلات وجه إيهاب دفعت لتعليق من شون.

شون: هي ارتعشت صديقي إيهاب بسبب «نوبة ارتباك» تصيب المرء عندما يحرك عضلاته كثيرًا لمسافات وأزمنة غير معلومة، لا تقلق، سترتاح بضع دقائق وترجع ثانيًا للتجديف، حدثَت لماديا عدة مرات.

وبعد تجديف دام لما يقرب من ساعتين، وصلا أخيرًا لبلدة تسمى «لابقول»، وكانوا منهمكين من تعب التجديف.

فهد: سنرتاح قليلًا في هذا الهوستيل لساعة فقط؛ نحتسي شاي «ماسالا» Masala وهو شهي جدًا، عبارة عن شاي طازة من مزارع الشاي ممزوج بالقليل من الحليل من الماعز الجبلي، ثم نكمل رحلتنا.

فادي: أثناء راحتكم سنقوم أنا وفهد بإنهاء الورق والأختام الخاصة بالصعود إلى الجبل.

جورج: أوراق... أختام! أشعر بأن مدام نادية مسئولة الأختام في الشهر العقاري هنا في نيبال، لا تتركنا أبدًا.

فهد: هههه أخي جورج، هنا كل شيء دقيق، حتى وإن بدَت بأنها دولة فقيرة وليست متحضرة كباقي الدول، ولكن كل شيء هنا دقيق، خاصة في الصعود إلى الجبال؛ لأن أفرادًا كثيرون يُفقَدُون في هذا المكان، وآخرون يموتون؛ لذلك يجب أن يكون كل شيء منسّق ومرتب، وهي لسلامتكم أيضًا.

توجهوا جميعًا إلى ذلك النزل الصغير المسمى بـLake Side Back Flix، وجلسوا أرضًا منهمكين من تعب الرحلة منتظرين تلك المشاريب التي قال عنها فهد سابقًا.

في مشهد يشبه جلوس المشتبه بهم داخل الأقسام جلس كلًا من إيهاب وجورج ونزهة وبجانبهم شون وماديا على كِليمٍ قديم رثّ يشبه تلك الموجود في الأرياف المصرية، وينظرون جميعًا لمجموعة قردة بجانب بعضهم البعض أمامهم عند أحد الصخور المتهالكة الواقعة من أحد المرتفعات.

إيهاب: غريب أمر القردة هنا! تشعر بأنها إله، الجميع يقدسونها ويحترمونها، عكس عندنا في مواطنة العربية، أشعر بأنها تتحدث لبعضها البعض.

شون: لأن بالفعل هي هنا إله، هذه هي موطنها، وجميع المحليين ضيوف في أرضها، كما أمر الهنود الحمر في أمريكا، كانت موطنهم قبل وصول الأسبان والهولنديون والإنجليز إلى هناك، ولكن الفارق هناك قتلوهم وهنا قدّسوهم.

نزهة: ولكن كما قال إيهاب... أشعر بأنهم يحدثون بعضهم البعض، أو يخيّل لنا ذلك.

شون: نعم إنها «ثرثرة القردة»؛ لديهم لغتهم الخاصة يحدّثون بعضهم البعض، فكما نتحدث عليهم هم يتحدثون علينا، يثرثرون كثيرًا، يسخرون من ملابسنا وطريقة أكلنا وشربنا، حتى حين نمشي يبدو لهم أن مشينا مليء بالعرج، إنهم يثرثرون دومًا ولكن لا نعلم في أي شيء يثرثرون!

(١١)

اتجهوا الجميع نحو وسيلة المواصلات التي تمشي في دوران صاعد نحو أقرب مرتفع لمرتفعات الإيفريست في سيارة قديمة ماركة Tata الهندية على جبل بدون محاذير على حافة الجبل، حيث الخطأ البسيط ينتهي بك ساقطًا من على أعلى الجبل، والمثير في الأمر أنه طريق ذو اتجاهين، يعني أن احتمالات التصادم والسقوط من الحافة وارد بدون إرادة من السائق، فربّما لخطأٍ ما من القادم في الاتجاه الآخر.

نعم الأمر جدي؛ فكلما نظر إيهاب ونزهة وجورج إلى الأسفل رأوا عدة سيارات قديمة واقعة أسفل المرتفع ومُدمّرة بالكامل، بالطبع إنها حوادث؛ فهي لَم تنزل هناك للاستجمام قليلًا ثم الصعود.

وما يزيد الأمر سوءًا بأن السائق المحلي يبدو أنه خارج من لعبة GTA الأمريكية الشهيرة، فهو يتسابق مسرعًا على حافة الجبل غير مباليًا بالسيارات القادمة أمامه، متجاهلًا قواعد السلامة والأمان.

إيهاب: أيمكنكَ سيدي أن تتريّث قليلًا، أشعر بأننا على وشك الهبوط إلى أسفل الجبل سريعًا.

السائق: لا تقلق، أنا اعتدت على هذا الأمر، لي فيها ما يقرب من ١٥ سنة وأنا أمارس نفس العمل.

جورج: ولكن هناك حوادث لسيارات أسفل الجبل هناك في كل مكان تذهب إليه نراه!

السائق: أوه تقصد تلك الحوادث، يكون الأمر خطيرًا فقط عندما تكون هناك

سيول قادمة من مرتفعات الجبل، بخلاف ذلك كل شيء آمن، لا تخَف؛ فلدي أُسرَة ايضًا.

اطمئن قليلًا المجموعة المرافقة لذلك السائق، ولكن ما أثار دهشة إيهاب بأن ذوي الخبرة في الأمر مثل فادي وفهد وشون ورفيقته ماديا يبدو علامات القلق على وجوههم من قيادة هذا الشخص.

هذا شيء لا يدعو للاطمئنان، ولكنهم اقتربوا من الوصول إلى وجهتهم حيث أفراد من الشرطة يطمئنون على سلامة الأوراق ثم السماح لهم بالصعود إلى المرتفعات.

فادي: عندما نصل إلى مدخل قرية ومرتفع «نايبول» ستكون قاربت الثامنة ليلًا، سنرتاح قليلًا في هوستيل هناك، وعند الفجر سنتوجه مشيًا نحو المرتفعات، وهنا يبدأ الشقاء الفعلي، حاوِلوا بقدر الإمكان الراحة بعد العشاء والدخول إلى الحمامات جيدًا، والاستعداد للصعود نحو القمة.

وصلوا أخيرًا إلى وجهتهم، كان هوستيل كبيرًا هذه المرة في بلدة «نايبول»، وتوجد أفواج ومجموعات كثيرة هناك من جميع أنحاء العالم، من بشرَتِهم تجد الأوربيون والصينيون والأمريكا والقليل من الأفارقة وغيرهم.

كان يبدو الأمر لو كان أن هذا سوق كبيرة تجمع الجميع، توجهوا جميعًا منهمكين نحو الهوستيل، اختار إيهاب وجورج ونزهة غرفة لهم، وشون وماديا غرفة لهما، بينما فادي وفهد غرفة خاصة لهما أفضل الغرف؛ لأنهم يأتون برحلات؛ فتقوم إدارة الهوستيل بالترحيب بهما وتشجيعهما بإعطائهما أفضل الغرف لديهم.

إيهاب: لم يتسنّى لي الأمر لأسألكِ عمّا فعله الحكيم بالعشب حين أتى للكشف عليّ.

نزهة: ليس بالأمر الهام إيهاب، المهم أنك الآن بخير وهو الأهم.

إيهاب: أشعر بأنكِ تعرفين أمرًا ما، أو أنه قال لكِ أمرًا ما تخفيه عني.

نزهة: لا... لا شيء، فقط استغرَبَ من الرسمة التي قمتَ برسمها عن ذلك العجوز.

إيهاب: كيف استغرب؟!

نزهة: لا أعرف، لم يُدلِ بأي شيء، فقط أبدى انزعاجًا كبيرًا، ولكنه لم يعلّق، ولكن لماذا تذكرت الأمر؟

إيهاب: لأني رأيت نفس الرجل عدة مرات اليوم!

جورج: ذلك الرجل الذي تحكي بأنك تراه؟ ولماذا لم تقل لنا؟!

إيهاب: لم أرد أن أحكي عن الأمر؛ حتى لا أبدو سخيفًا مثل كل مرة.

نزهة: الأمر غير مطمئن، كيف أن يتواجد فقط لك في الأماكن التي ذهبنا لها، أتدرك عدد الأميال التي قطعناها؟ نقترب من ١٢٠ كيلو من هوستيل الإقامة، ألا يوجد لديه أي عمل سوى مراقبتك والظهور إليك في كل مكان؟!

إيهاب: لذلك يبدو الأمر سخيفًا برمته.

جورج: إيهاب، هنا النيبال يشبهون بعضهم البعض، خاصة بملابسهم مثل تعاملنا مع وجوه الصينيّين، لا نفرق بينهم بسهولة، كلهم يشبهون بعضهم البعض.

نزهة: ماذا تريد أن تقول؟

جورج: ربما اعتقد إيهاب بأن عدة أشخاص يراهم بالمصادفة يشبهون ذلك الشخص.

إيهاب: لا جورج، إنه نفس الشخص لا يمكن أن أخطئ به، هو يظهر لي في كل مكان، ولا أفهم حتى الآن السبب! حتى أحلامي يظهر بها، هو يريد مني شيئًا ما لا أعلمه، لا يمكن أن يتربّص بي بدون سبب.

نزهة: دع التفكير في الأمر حتى نعود أدراجنا، ولكل مقامٍ مقالٌ حينها، دعونا نرتاح قليلًا قبل حلول الرابعة صباحًا كما طلب منا فادي؛ حتى نقوى لباقي الرحلة نحو المرتفعات العالية.

أنهوا حديثهم وكلًا منهم ذهب في النوم استعدادًا لرحلة الصعود إلى مرتفعات الإيفريست، ولكن إيهاب رفض أن يزوره النوم، كلما تذكّر وجه الرجل الذي رآه في كل مكان ذهب إليه.

أصبح لغزًا له، وللباقية أيضًا؛ فبعد ما رأته نزهة من الحكيم «باتول» أصبحت على يقين أن هناك خطبًا ما، كما أن جورج، وبداخله شك من الأمر، إلا أن ثقة إيهاب في رده عليه أثارت عنده شك بأن الأمر يدعو للتأمل قليلًا بأنه ربّما كان صحيحًا.

ما ينقص شقاء الرحلة هو شقاء التفكير أيضًا!

(١٢)

''إيهاب... إيهاب''

صوت خافت أتى من خارج غرفة المبيت داخل الهوستيل، استيقظ على وقعه إيهاب، وبعد فرك عينيه بدأ يتلفّت يمينًا ويسارًا باحثًا عن مصدر الصوت، يبدو أن هذا الصوت مألوف لديه.

''إيهاب... إيهاب''

إنه صوت نزهة، ولكن أين هي؟ اتجه بنظره نحو سرير نزهة فلم يجدها عليه، هي بالفعل، ولكن ماذا تفعل في هذا الوقت المتأخر ليلًا.

قام إيهاب من سريره واتجه خارج الهوستيل حيث يوجد مجموعة أشجار وأعشاب وراء الهوستيل، فهو جو يوحي بالرعب، حيث منطقيًا لا يجب أن تتواجد نزهة في هذا المكان بمفردها ليلًا هكذا.

فقط لم يحلّل إيهاب الموقف؛ فكل ما بدر إلى ذهنه هو إيجاد مصدر الصوت؛ ليعثر على نزهة، فمن خفتان الصوت يوحي بأنها في مشكلة ما، إنه صوتها.

''إيهاب... إيهاب''

ولكنه يشبه الفحيح، بدأ إيهاب في اجتياز تلك الغابة المظلمة ليلًا، غير آبهٍ بما قد يجده، كل ما شغل خياله هو إيجاد نزهة وإرجاعها إلى الهوستيل، الغريب في الأمر كلما ظن بأنه اقترب منها ابتعدت عنه.

حاول إيهاب الركض لعلّها نائمة في الغابة ليلًا ولا تستطيع العثور على طريق العودة، والمثير في الأمر إن وجدها فلن يستطيع أيضًا الرجوع بسهولة إلى نفس المكان الذي أتى منه.

''إيهاب... إيهاب''

همّ إيهاب بما يقارب النصف ساعة وسط الأشجار والأعشاب حتى ابتعد تمامًا عن الهوستيل، فكان ينظر وراءه؛ ليرى المدخنة التي تخرج منها الدخان القائم على التدفئة في الهوستيل، أما الآن فهو لا يراه.

والآن هو تائه، ولا يسمع الصوت؛ فربما هي وراء كومة الأشجار هذه، والآن قد عاد الصوت، وبالفعل هي وراء تلك الكومة.

إيهاب: نزهة، ماذا تفعلين هنا وفي هذه الساعة هنا؟!

فتح كومة الاشجار ليجد الشخص العجوز، تلجّم ولم يستطع النطق، كان العجوز جالسًا على القرفصاء أرضًا، وأمامه كومة نيران مشتعلة من أخشاب ليتدفّأ بها.

ظل إيهاب واقفًا ساكنًا لا يتحدث، تسمرَت قدماه في الأرض، لا استطاع الركض بعيدًا ولا استطاع التحدث، لم يحدّثه العجوز، فقط ظلّ جاحظ العينين ناظرًا نحو إيهاب ومرتلًا تراتيل خفية.

''كالا بكالا سيجما فوت''

نعم إنه يعرفها، لقد سمعها من قبل في الحلم الذي حلمه، إنها نفس الكلمات.

''كالا بكالا سيجما فوت''

ظلّ يردّدها العجوز ملقيًا بأشياء داخل النيران، معه شنطة مصنوعة من القماش رخيص الثمن، أخرج منها صورة أراها لإيهاب قبل أن يلقيها في النار، إنه يعلم هذه الصورة جيدة.

نعم إنها صورته مع شقيقه المتوفي محمد ووالده ومالك، إنه يعود بالذاكرة لمكان

وزمان الصورة.

محمد: هيا يا إيهاب، دعنا نأخذ هذه الصورة لتبقى في الذكرى.

إيهاب: يا محمد لا أحب التصوير، قوموا بالتصوير أنتم.

مالك: ولماذا لا تحب التصوير؟ فأنت لست قبيح الهيئة، هيا حتى لا يستاء والدك.

محمد: يا أبي، هيا بنا نأخذ صورة جماعية.

الوايلي: هيا أولادي، سيقوم ابن عمكم بالتصوير، ابتسموا جميعًا.

قاموا بالتصوير وابتسموا كما أراد الأب، ولكن بعدها كلًا جلس بعيدًا عن الآخر، هو يتذكر الآن فيما كان يفكر وهو جالس بعيدًا.

كان ينظر لمحمد وقلبه يملأه غصة، فكيف للأخ الأكبر الحصول على أعلى مرتب وسط إخوته وعلى أحدث سيارة، ونظر نحو مالك المدلّل الذي يسافر إلى أي مكان يريده، أينما شاء وقتما يشاء، وإيهاب يعمل هنا منذ تخرجه من الكلية في شركة محمول بمرتّب ضعيف للغاية، وسيارته دائمًا في التصليح.

"أين العدل» يتساءل إيهاب ناظرًا إليهم..

أخذ العجوز الصورة التي انسابت ذكريات الصورة في مخيلة إيهاب وألقاها في النيران لتأكلها النيران؛ ليُخرج بعد ذلك قلادة فضّة عليها صورة فتاة بارعة الجمال، كل ذلك مستعجب مصدوم إيهاب مما يراه، هو لا يحلم، إنه يعرف جيدًا القلادة، وبدأ في تذكر قصة القلادة.

فتاة: هذه قلادة بها صورتي يا إيهاب، لك هدية يوم ميلادك؛ لتضعها دائمًا حول رقبتك، ولا تفقدها أبدًا.

إيهاب: أشكرك مريم حبيبتي، هذه أجمل هدية أعطاها إياي أحد، سأحتفظ بها للأبد.

أخذ إيهاب القلادة من مريم حبيبته واضعها على رقبته، وظلا كلاهما ينظران إلى بعضهما البعض.

ألقى العجوز القلادة في النار أمامه مردّدًا نفس الجملة لا يغيّرها ابدًا.

''كالا بكالا سيجما فوت''

كل ذلك وإيهاب متسمرٌ في مكانه، فقط يشاهد ما يحدث دون أن ينطق، يشاهد ويتذكر كل شيء.

أخرج العجوز من حقيبته قلادة ذهبية، يا الله هذه القلادة يعرفها جيدًا؛ فهي القلادة التي...

تحرك إيهاب بعيدًا عن الأنظار في فيلا مستأجرة في أحد أحياء الشيخ زايد الفاخرة.

من بعيد يقف يشاهد حبيبته مريم وهي تقف أمام زوجها، نعم لقد طلبَت من إيهاب منذ عدة أشهر أن يتقدم لها ليتزوجها.

ولكن إيهاب لم يكن يستطيع أن يقوم بمثل هذه الخطوة؛ لأنه لا زال يدرس بالكلية، ولكن الفتاة دائمًا في مجتمعاتنا الشرقية العقيمة يجوز لها أن تخطب وهي لا زالت تدرس، أما الشاب فدائمًا يواجه من قبل أهله بأنه لا زال صغيرًا وعليه التريث حتى يتخرّج من دراسته.

أما في كل الطبقات «زواج البنت سترة»

تقدم لمريم الكثير من العرسان، وكانت دائمًا ترفض انتظارًا لإيهاب، أو هكذا اعتقد إيهاب، ولكنه اكتشف فيما بعد أن الرفض كان لاختلاف في أمور متعلقة بمكان الإقامة أو مبلغ الشَّبْكة.

لم تكن تنتظر إيهاب، ولكنها كانت تضعه بديل حالَ لم تتوفق لإيجاد عريس مناسب، وكان ذلك العريس هو المناسب لها ولطموحها الغير محدود، وقف بعيدًا إيهاب يرى ماذا كان ينقصه ليكون مكانه؟!

إنها ترتدي فستانًا أبيضَ أنيقًا، كثيرًا ما حدّثا بعضهما البعض عن شراءه لفرحهما.

إنها ترتدي القلادة الذهبية التي أعطته أمه له قبل وفاتها؛ ليعطيها لعروسته في المستقبل، إنها ترتديها بكل لا مبالاة، هو ذاهب نحوها ليأخذها من على صدرها

بالقوة، منعه صديقه عادل للقيام بذلك؛ حتى لا يصبح الأمر هرج ومرج.

عادل: إيهاب ماذا تفعل؟ كن عاقلًا إن مريم تتزوج الآن.

إيهاب: لا آبه، إذا كانت تتزوج تلك الكاذبة المتسلقة أم لا.

عادل: ماذا تريد إذًا منها، ستجد من تحبك وتحترمك وتقف بجانبك وتنتظرك بعيدًا عنها.

إيهاب: يا عادل، لقد أهديتها تلك القلادة الذهبية على رقبتها وأريدها، إنها من أمي رحمها الله، أعطتها لي قبل وفاتها.

عادل: تذكرتها الآن يا إيهاب؟! اترك الأمر ووعد مني بعد شهر عسَلِها سآخذها منها وأعطيها لك، وعد مني صديقي، أما الآن قد بدأنا نثير الأنظار حولنا، سأُوصلك لتأخذ تاكسي وترحل من هنا الآن، أرجوك.

نعم هو يتذكر تلك القلادة الآن، ولكن ماذا تفعل القلادة الموجودة في دولاب إيهاب في مصر داخل غابات نيبال في تلك الشنطة للرجل العجوز؟!

''كالا بكالا سيجما فوت''

ألقاها العجوز في النيران مردِّدًا نفس الجملة، جنّ جنون إيهاب واضعًا يديه في النيران غير آبه بالاحتراق؛ ليحصل على القلادة قبل ذوبانها في النيران.

هو دائخ الآن، ماذا يحدث لإيهاب؟! فالعالم الآن يدور حوله، رأسه ثقيلة لا يعي أين هو، هو ممسك الآن بالقلادة، إنها بين يديه هو... هو... هو...

إيهاب الآن ملقًى على الأرض فاقد الحركة والإدراك، إنها شبه غيبوبة، إن عينيه تظلم الآن... كل شيء يظلم، يغلق عينيه وهو يرى العجوز لا زال يردد نفس الجملة.

''كالا بكالا سيجما فوت''

كل شيء مظلم الآن!.

(١٣)

استيقظ إيهاب قرابة الساعة الرابعة ونصف ليجد الجميع حوله واقفين ناظرين له، فادي ومعه فهد بجوار جورج ونزهة، حتى شون وماديا كانا واقفَين حول إيهاب الذي شعر بدوار في مخه لا يعلم سببه.

بدأ يتذكر ما كان عليه منذ بضع ساعات، بدأ يتذكر الرجل العجوز والأشياء التي أحرقها، وتذكر القلادة الذهبية، نعم القلادة أين هي؟ لقد أنقذها من بين النيران، وبدأ في الشرح قليلًا؛ ماذا كانت تفعل تلك الأشياء مع هذا الرجل؟ وما كان يقصده بما يردده؟!

ولماذا يظهر له في كل صوب وحدب ويحل أينما ذهب؟ فالأمر أصبح غريبًا للغاية ويجب أن يعثر على دليل على وجود هذا الرجل؛ حتى يمحي صورة السخيف التي رُسِمَت له من قبل المجموعة.

إيهاب: ماذا هنالك؟! لماذا التجمع حولي؟! ماذا حدث؟!

جورج: يا صديقي لقد وجداك المجموعة الكندية المجاورة لنا، مغمى عليك على بعد عدة أمتار من الهوستيل.

نزهة: نعم، ماذا كنت تفعل خارج الهوستيل في هذا الوقت المتأخر؟

إيهاب: نفس ما كنتِ تفعلين نزهة، دعيني أسألكِ نفس السؤال؟ ماذا كنتِ تفعلين في وقت متأخر خارج الهوستيل؟

نزهة: أنا؟! أنا فقط صحوتُ ليلًا ودخلت المرحاض العمومي، ورجعت ثانيَّة

إلى الفراش، ونظرت نحو فراشك فلم أجدك.

إيهاب: أنا هيئ لي أني سمعتك تنادي عليّ من خارج الهوستيل، فقمت أرى لعلكِ تحتاجين لشيء ما.

نزهة: لا إيهاب، لم أنادي عليكَ بتاتًا، ربما اختلط عليك الأمر.

فهد: لقد شَخّص العرق في يديك شون؛ فهو دكتور كما تعلم.

شون: إنه فقط احمرار في بشرة اليد نتيجة وضع يديك داخل نيران، ولكنك أخرجتها سريعًا، وضعتُ مرهم حروق ليديكَ وغلّفتها لك بقطعة قماش، ستكون على ما يرام.

فادي: يمكنك إن أردت البقاء ها هنا، وسنلتقطك في طريق العودة بعد عدة أيام، آه أن تأتي...

إيهاب: سآتي معكم؛ فأنا بخير، شكرًا شون على تعبك معي، أشكرك، ولكن ألم يرى أحد أي شيء معِي، مثل هاتفي أو أي شيء آخر؟

نزهة: نعم، هذه القلادة الذهبية كانت في يدك، استخرجها منك شون؛ ليستطيع أن يضمّم الحروق.

شون: لقد كنتَ ممسكًا بها بقوة بين يديك، استخلصتُها منك بصعوبة بالغة.

إيهاب: إنها قلادتي! أنا الآن لا أكذب فيما أقوله، لقد كنت على حق منذ البداية.

جورج: ماذا؟!

فادي: سنتناقش في الأمر فيما بعد، ولكن علينا الآن التحرك للصعود إلى المرتفعات.

كان إيهاب يشعر بالفخر حين كان يرتب حاجته داخل شنطته، فالآن هو محقٌّ في الأمر، ولم يكن مجرد أكاذيب منه، بل يوجد ذلك العجوز والذي يطارده أينما ذهب وحل، إنه بالفعل موجود، ولكن لا يعلم ما سره، ولكنه بالفعل موجود.

سيصعد إلى الجبل، وعندما يهبط منه سيبحث وراء السر من هذا الرجل،

ولكن هناك تساؤلات لا إجابة لها لدى إيهاب وتساءلها فيما قبل.

كيف لقلادة أن تكون في أحد دواليب إيهاب بالقاهرة أن تتواجد في أيدي هذا الرجل؟! هي بين يدي الآن؛ لذلك فالشيء حقيقي، ولكن كيف حدث ذلك؟ وما هي الكلمة التي دائمًا يرددها، هو يحاول أن يتذكرها.

بدأت المجموعة في التحرك نحو منفذ الظباط النيباليّين، والذين يتأكدون من صحة الأوراق والسماح لهم بالعبور نحو المنفذ المؤدي لأول طريق إلى المرتفعات، وهي لأمن وسلامة المتسلقين والزائرين.

لأن المكان خطير جدًا من انهيارات جليدية وصخرية بخلاف الحواف التي توجد بها والتي قد تؤذي الذي يسقط منها.

هو مكان شاسع المساحة يقف بين حدود دولتين، لا يستطيع أحد تأمينه، هي ليست مدينة ملاهي يمكنك الترفيه عن نفسك بأي عدد من لعب، وهي مؤمّنة بالكامل إلا حوادث تأتي كما يقولون On in a million.

بدأت المجموعة بعد اجتياز الحدود الجبلية في الصعود إلى أعلى المرتفعات إلى القمة، بالطبع هم لن يصلوا إلى القمة؛ لأنهم ليسوا محترفين كما المتسلقين الآخرين، هم فقط يقومون بما يشبه الهايكنج من خلال استخدام عصى مخصصة للمشي وسط الصخور؛ حتى تُحدِث توازن للصاعدين إلى القمة.

مرّت عدة ساعات من المشي، لا شيء جديد، مجرد رؤية مشهد الجبال الساحر من بعيد وشعور بأن الجو جرَى تنقيته من عوادم السيارات والمخلفات الصناعية وغيرها من الملوثات.

كل شيء أصبح نقيًا الآن عدا تلك الحشرات اللعينة المسماة «ليكس»، إنها في كل مكان؛ تجدها بين الصخور وعلى جنبات الطرق نحو الجبل، هي حشرة كانت موجودة منذ آلاف السنين، لم تنقَرِض مثل الحياة البرية التي انقرضت.

هي تلتصق بجلد الإنسان، ثم تبدأ في مص الدماء من أقرب عرق دموي، ثم تبدأ في مص الدماء حتى تنتفخ وتصبح في مثل حجم أصبع القدم، والغريب في

الأمر أن المصاب بها لو حاول أن ينزعها من قدمه سيسبّب في فوران في دماءه وجلطات قد تصيب في بعض الحالات إلى الموت.

لذلك نبّه فادي الجروب لهذا الموضوع وحذر منه، والحل الوحيد لها هو عدم انتزاعها، بل حرقها كاملًا حتى موتها وهي ملتصقة في الجلد؛ مما يسبب في حرق الفتحة الدموية التي مُصّ منها الدماء.

كلما ارتفع الجروب في الصعود، كلما قلّ نسبة الأكسجين؛ فأصبح الصعود يحتاج مجموعة أكبر.

نزهة: ماذا حدث إيهاب أمس؟ ولماذا يداك بهما آثار حروق؟! أنا لا أفهم... تخرج في منتصف الليل لتضع يديك في النيران؟ أي حماقة تلك؟!

إيهاب: حماقة؟! كنت أتوقع أنك ستقفين بجانبي، لا أن تتهميني بالحماقة.

نزهة: أتعرف معنى أن اقف بجانبك؟ هي أن أكون دائمًا بُوصْلتك للطريق الصحيح، وما أراه الآن أنك لست في الاتجاه الصحيح، تخرج في منتصف الليل وحدك وسط الغابات خلف الهوستيل لتضع يديك في النيران!

إيهاب: نزهة، يجب أن تثقي بي، أنا لم أفعل ذلك كما وصفتي، لقد سمعتُ صوتك ينادي عليّ؛ فاعتقدت أنك تحتاجين أمرًا ما، أو يوجد خطب ما، نظرت نحو سريرك فلم أجدك، ذهبت وراء مصدر الصوت الذي ظهر لي في البداية أنه أنتِ، ولكني وجدت ذلك العجوز الذي رسمته وكان يحرق أشياء قديمة لي منها القلادة، فأخذتها من النيران حتى لا يحدث لها ضرر، فقدتُ الوعي، وعندما صحوتُ وجدتكم أمامي جميعًا، هذا ما حدث.

نزهة: مهلًا قليلًا إيهاب، ولو فرض أن هناك فعلًا عجوز، وأنا أثق بك بأنك لن تكذب حيال الأمر؛ لأنه لا يوجد ما يدعو لك للكذب، كيف أتى بالأشياء القديمة التي تخصّك أو القلادة؟!

إيهاب: لا أعرف، فقط لا اعرف، وهذا ما يسبب لي الجنون بكل معانيه، كيف أتى بهذه الأشياء والأهم من ذلك، بحق الآلهة ماذا يريد مني؟! لماذا أنا؟

ماذا فعلتُ لكل ذلك؟ أنا لست من أهل البلد، مجرد سائح سيبقى لعدة أيام ثم ينصرف لحال سبيله.

نزهة: لا أعرف إيهاب، الأمر أصبح كابوسًا سخيفًا، ألم يقل لك أي شيء؟

إيهاب: لا لم يوجه لي أي حديث، فقط ظل يردد تلك الجملة التي أحاول أتذكرها، ربما «بالا كمبالا سيجنال موت»، أعتقد ذلك.

نزهة: تبدو لي بلا معنى، إيهاب دعني أحدّثك بصراحة، الجروب بدأ في أحاديث جانبية عنك بأنك ربما لستَ بخير وتحتاج إلى طبيب نفسي، الكل يتحدث هنا.

إيهاب: أنا عاقل نزهة، لستُ مجنونًا.

نزهة: أنا أعرف ذلك جيدًا، فقط أطلب منك ألا تحكي أي شيء في الأيام القادمة حتى نغادر نيبال.

إيهاب: هذا ما كنتُ سأفعله تمامًا، ولكن قررتُ في البحث في الأمر وحدي عند النزول من الجبال.

نزهة: إيهاب، إنها تمطر الآن سيولًا، يا إلهيّ إنها قطع ثلج تنزل من السماء.

إيهاب: خذي الجاكت الخاص بي ضعيه فوق رأسك.

نزهة: وأنتَ؟! ضعها علينا نحن الاثنين ودعنا نأخذ جنبًا بجانب الطريق؛ فالجروب الآن يأخذ جانبًا تجنبًا للمطر الثلجي.

إنها الأمطار الثلجية في نيبال، مطر ثقيل يُسقط كرات من الثلج تشبه الصخور، عندما ترتطم بالأرض تحدث جلبة وصوت مرتفع، ما بالك لو وقعت على رأس أحدهم! ستحدث به إصابات بالرأس لا محالة، هو نوع من المطر غريب على البلدان العربية، ولكنه موجود في وسط آسيا بحكم الجبال التي موجودة بها؛ حيث تتبخّر القليل من الثلوج أعلى الجبال من الحرارة المرتفعة، ثم تتكثف في السماء منزلًا حبات ثقيلة من الثلج، وتبقى لساعات وساعات بمثل هذا الشكل.

اعتاد عليها أهل نيبال؛ لذلك عند حدوثها يتوارون في مكان بحيث لا يصل لهم تلك الصخور الثلجية، وفي حال الجروبات الصاعدة إلى الجبل، يتخذون مواقعًا تحت الأشجار الكثيفة الموجودة بجانب الطرق المؤدية إلى المرتفعات.

نزهة: لم يتسنّ الوقت لي لأشكرك لما فعلته لي بالقفز ورائي في المياه عندما كنا في البحيرة.

إيهاب: لا يجب شكري، فهذا واجب عليّ نزهة، نزهة، أنتِ لم تحكي عنك، عن حياتك.

نزهة: الآن وتحت هذه الصخور الثلجية! فقط أمزح، أما عن حياتي فأنا أعيش في تونس، بالتحديد في صفاقس، أبي انفصل عن أمي منذ أن كنت صغيرة، لي ثلاث أخوات وأنا أصغرهم، لي آمنة وهي متزوجة، وأيمن وهو ظابط بحري، وعليّ متزوج ويعيش في إيطاليا، والدِي عبادي الجزيري وهو من رجال السياسة في تونس، ورئيس حزب «تونس أولًا»، رغم الانفصال إلا أن والدي ووالدتي أصدقاء ولا يوجد عداء أو مشاكل تسبب أزمات لنا أو لأخواتي، ها ماذا تريد أن تعرف أكثر؟

إيهاب: لا أريد أن أعرف شيئًا لا تريدين أن تحكيه، فقط ما تريدي أن تحكيه.

نزهة: ممم، لا لست مرتبطة يا إيهاب، كنتُ مرتبطة بشاب منذ فترة، ولكننا انفصلنا عن بعضنا البعض.

إيهاب: تطفّل مني؛ أنا أسأل لماذا انفصلتم؟

نزهة: لا تطفّل في الأمر، حياتي يا إيهاب واضحة تمامًا، لا أحب أن تكون بها أسرار وأكاذيب وتضليل وغيرها، أحب دائمًا الكتابة في ورق أبيض ناصع البياض، ارتبطتُ بذلك الشاب وأحببتُه كثيرًا، وكنا على وشك الارتباط الرسمي، ولكن بدأت كل الأكاذيب تظهر عندما اقتربنا من الارتباط؛ مثل علاقات سابقة بدأت في الظهور، مكالمات مجهولة من أخريات وما تحمله من سبّ وقذف في حقي، وأحيانًا في حقه محذرة منه، وأني مجرد فصل في روايته، وأنه متعدد

العلاقات، لم آبه لكل ذلك، بل تمسّكت به لعله يتغير، ولكن في أحد الأيام كنت أمرّ بجانب كافيه في المدينة، وجدتُه جالس مع أعز صديقاتي، كنت بعفويّة، سأمر عليهما وأجلس معهما، ولكن شيئًا بداخلي طلب مني التريّث في الأمر، وجدتهما يضحكان ويتغازلان، ونظراتها له ليست نظرات صديقة أبدًا، كان الحب يخرج من عينيها، انصرفتُ في هدوء، واجهته فيما بعد بالأمر؛ فلم يبدي أي تفسير منطقي للأمر.

إيهاب: ولماذا أرى الدمع في عيونك نزهة الآن؟ هو لم يستحق إنسانة مثلك، أنا أعرف الآن لماذا السماء تمطر.

نزهة: إنها تمطر دائمًا إيهاب!

إيهاب: لا، اليوم هي تمطر حزنًا لدمعاتك التي أراها على خدك الآن.

نزهة: لا تبالغ إيهاب، أنا فقط تذكرتُ الأمر وهو يزعجني كثيرًا.

إيهاب: نزهة، هوّني عن نفسك، ربما أنتِ تستحقين الأفضل، تستحقين بداية أخرى، نعم كلنا نستحق بداية جديدة جيدة مع أناس يستطيعون حقيقًا أن يرسموا الاهتمام والأمل في أعيننا، أوَلهذا السبب أتيتِ إلى نيبال؟! أقصد بالطبع قصة الارتباط، لا لتبحثي عن أناس آخرين.

نزهة: في الحقيقة يا إيهاب لم يكن ذلك السبب الرئيسي، فربما هو من ضمن الأسباب، ولكني في الأساس أتطلّع للانضمام لبرنامج الأمم المتحدة لمساعدة اللاجئين في الأماكن التي بها حروب ومجاعات، هذا هو هدفي الأول، وكان سبب السفر أريد أن أختبر هل باستطاعتي الصمود في الظروف القاسية والتي لن أجد أقسى من الظروف هنا في نيبال؟ كنتُ في الماضي أسافر أجازات مع العائلة هنا وهناك، نقطن أفخم فنادق ونرتاد أفخم مطاعم، ولكن هنا الوضع مختلف، وستكون تجربة جيدة إذا كُتِب لي أن أنضم للبرنامج.

إيهاب: بالطبع نزهة أنتِ لها، منذ التقَيتُك هنا ولم أرى منكِ إلا كل شيء جيد يعطي انطباعًا جيدًا بأنكِ ستنجحين في الأمر، ولا أكذّبك أن برنامج الأمم

المتحدة لمساعدة اللاجئين سيخسر الكثير حال عدم انضمامك لهم.

نزهة: أشكرك إيهاب، هي شهادة أعتز بها كثيرًا، قل لي ماذا أتى بك هنا إلى نيبال؟ قصة عاطفية أيضًا؟

إيهاب: في الحقيقة لا ليسَت السبب، لقد توفي أخي الأكبر محمد في حادث منذ بضع أشهر.

نزهة: عزائي لك، آسفة.

إيهاب: لا عليكِ، وأصبح المناخ في العائلة خانقًا لأقصى درجة، أصبح الوالد في مزاجية سيئة للغاية، أصبح يعاملنا كأننا منتجات لها تاريخ انتهاء ويجب الحفاظ عليها مجمدة، لا أعلم نهاية الأمر، فقط أردت الهروب المؤقت من هذا الجو الخانق.

نزهة: ولكن كيف أقنَعتَ والدك الذي يخاف عليك كثيرًا برحلة كتلك؟

إيهاب: كذبتُ عليه، ادّعيتُ أني مسافر إلى الإمارات؛ للبحث عن عمل هناك.

نزهة: صدّقك؟!

إيهاب: في الحقيقة أعلم بأنه لم يصدقني، ولكنه مع إلحاحي في الأمر وافق في النهاية ولكني في الحقيقة بعد كل ما رأيته هنا أُبدِي ندمي على السفر إلا لشيء واحد.

نزهة: وما هو هذا الشيء؟

إيهاب: أنتِ نزهة.. نعم أنتِ الشيء الوحيد هنا الذي بعث لي شعاعَ نور من السماء، والحقيقة بأن الندم الحقيقي لو لم أسافر وأقابل شخصية مثلك.

نزهة: انظر إلى تلك القردة هناك، إنها تثرثر علينا.

إيهاب: وماذا تقول؟

نزهة: تقول لبعضها بأني أيضًا كنت سأندم لو لم أقابلك إيهاب!

هكذا وببساطة بدأت قصة أخرى، ولكنها قصة حب بين إيهاب ونزهة بدأت مع هطول الأمطار الثلجية من السماء، ولكنها الآن توقفَت.

الأمطار توقفت عن الهطول وبدأ خيط من شعاع الشمس يظهر، خيط من شعاع أمل يدب الحياة في وجدان كليهما.

فالغاية في الأمر ليس الحب بمعناه ومفهومه، بل هو الوصول لراحة نفسية بين كلًا منهما للآخر، أو هكذا ثرثرت القردة.

(١٤)

كان مالك يجلس في الكافيه في أحد ضواحي الزمالك يفكر في الخطوة التالية التي يجب أن يتبعها؛ فهو لا يستطيع فقط السفر إلى نيبال والبحث في كل مكان عليه، إن الأمر مثل البحث عن «إبرة في كوم قش».

ولكن ماذا عساه يفعل؛ فهو لن يجلس هكذا بلا حراك، معرفة نصف الحقيقة كما لا معرفة من الأساس؛ فهو يعلم الآن فقط أنه في «نيبال» فقط لا غير؛ فهو لا يعلم غير ذلك، ولا خبر عنه.

جلس سارحًا يحتسي قهوته، وركز على رجل عجوز يجلس مع امرأة أربعينية تبدو أنها ابنته، وركّز فيما يتحدثان بدون قصد منه، ولكن كان الكافيه خاليًا إلا منهما، وكان صوتهما مسموعًا.

الرجل العجوز: يا كلير، كيف أخاكِ بيشوي؟ أعتقد أنه عيد الشكر الآن في أمريكا وهو لم يتصل منذ عدة أيام، ألم يتصل بكِ؟

كلير: كما قلتَ أبي... بيشوي الآن يحتفل بعيد الشكر هو وزوجته مادلينا وأولاده، ربما يتصل غدًا أو اليوم الذي يليه.

الرجل العجوز: الآن هو يأكل الديك الرومي الثمين، وكما تعلمين عن أخاكِ إنه يعشق الأكل، ألم تنظري إلى وزنه في صور الفيسبوك؟!

كلير: لا أعتقد أنه يأكل الآن؛ لأنها صباحًا الآن في أمريكا، سأتصل به أو بزوجته مادلينا.

بعد أن ركز مالك في الحوار عن «بيشوي» بدون قصد، انتبه لشيء هام كما أدرك نيوتن قانون الجاذبية عندما جلس تحت شجرة فوقعَت بجانبه تفاحة، رغم سخافة الإدراك بأنه احتاج لتفاحة أن تسقط بجانبه؛ ليدرك الأمر بعد أن شارف على الـ ٤٥ سنة.

ولكنه في النهاية وجدوها بمنتهى البساطة، كيف لم يفكر في الأمر من قبل؟ ولكن الأمر الذي أدركه يحتاج فقط القليل من الحظ، وبدأ في تنفيذ ما فكر به؛ حيث فتح جوجل محرك البحث وقام بالبحث عن عدد الهوستيل القريبة من مطار «كاتماندو».

فظهر له عدد ٢٢ هوستيل في محيط العاصمة، فما كان منه إلا أن دخل إلى تطبيق Hostel.com والبدء في البحث عن التقييم من النزلاء عن الهوستيل؛ ليجد بعد بحث وقراءة مدة ساعة أن هناك ٥ هوستيل فقط هم الذي يوجد بهم تقييمات لزوار مصريين في الفترات السابقة.

مما يعني أن معظم برامج الرحلات موجهة إلى الخمس هوستيلات هذا، فقط يحتاج إلى بعض الحظ وفنجان قهوة ثالث؛ لأن الثاني رشفه لآخر نقطة بن فيه.

ما عليه الآن سوى الاتصال دوليًا بالهوستيلات الخمس.

مالك: ألو... هوستيل بلادفيو... أتتحدث الانجليزية؟.. كنت أتساءل هل يوجد لديك نزيل باسم إيهاب حسن الوايلي من مصر... ها... شكرًا آسف أزعجتك.

مالك: ألو... هوستيل ليما فانتورا... أتتحدث الإنجليزية؟.. قليلًا؟.. هل يوجد نزيل تحت اسم إيهاب... آها... من مصر... لا؟ شكرًا.

مالك: ألو... هوستيل بيسPeace... أتتحدث الإنجليزية؟.. أيوجد نزيل عندكم من مصر يدعى إيهاب حسن الوايلي؟.. جيد جدًا... أهو موجود الآن؟.. أه، وكم سيستغرق رحلة الصعود للجبال هذه؟.. أيمكنك مشكورًا أن تبلغه أن يحدثني لأمر هام... أشكرك... سؤال أخير أهو بخير؟.. وهل هو بصحة

جيدة؟.. الحمد لله... أنا مالك أخوه... مالك Malik... أشكرك.

لقد وجد أخاه أخيرًا، ولكنه أصبح قلقًا أكثر، لقد قال له موظف الريسبشن بأنه كان تعبًا قليلًا، ولكنه أصبح جيدًا، المهم أنه تأكد أنه بخير، وما دام في رحلة صعود إلى الجبل، يعني أنه أصبح بخير.

سافر مالك سويسرا مرتين، ومارس رياضة تسلق الجبال من قبل؛ لذلك يعرف أن الأمر يتطلب طاقة ولياقة للقيام بالأمر، ولكن بعد أن تحرك من المربع صفر ماذا الآن؟

سينتظر إلى أن يرجع للهوستيل للتحدث إليه، لا بديل عن ذلك، وحينها سيكون لكل حدثٍ حديث.

(١٥)

فادي: يا شباب، نحن الآن قرب قمم جبل «كالا باتهار Kala Pattbar» وهي تعني بالهندية والنيبالية «الصخر الأسود»، والقصة تبعد حوالي ٥٥٠٠٠ متر عن سطح الأرض، ولكننا في المنتصف تقريبًا ويمكنكم مشاهدة مرتفعات الإيفريست أمامكم، وهي شهرة «كالا باتهار»، إنها المزار الأكثر أمانًا لمشاهدة الإيفريست، ولكن أحذركم بأن نكون حذرين في الصعود أكثر؛ لأن الأرض غير مستوية، كما أنه توجد الكثير من الحجارة هنا وهناك، واستخدام العصا الخاصة بالهايكنج منعًا للانزلاق والسقوط من فوق الجبل، أي تساؤل؟

إيهاب: أنا أرى على بعد ١٥٥ متر معسكرات، ما هي هذه المعسكرات فادي؟

فادي: إنها Nepal base camp أو معسكر لباحثين جولوجيّين نيباليون ومن جنسيات أخرى لبحث أي تغيرات في التربة، وغيرها من الأبحاث توجد عدة معسكرات منها حتى القمة على بعد ٥٥٥٨ قدم تقريبًا.

نزهة: كيف سنقوم بحياتنا الطبيعية؟! أقصد المأكل واستخدام الحمام وغيرها؟

فادي: المأكل... معنا جميعًا بعض الـ Snaks سنعيش عليها، أو عند الاقتراب من أي معسكر يمكننا أن نأكل من عندهم، أما الحمّام فيوجد احتمالين، إما بجانب الصخور التي عليها علامة صفراء، أو الانتظار حتى نصل إلى المعسكر... أقرب معسكر أقصد.

شون: هلّا نأخذ قسطًا من الراحة، لقد استمرَرنا في المشي مدة تجاوزت الأربع

ساعات!

فادي: أوكيه شون، فقط متبقي حوالي ١٥٠ متر لأقرب معسكر، وهناك يمكننا الراحة لساعة واحدة فقط ثم نستكمل الرحلة.

استكمل الجروب الصعود في جبال «كالا باتهار»، هم لم يكونوا ينوون أن يصعدوا إلى قمة الجبل؛ لأن ذلك يتطلب تدريبًا وجهدًا، وهي ليست الهدف من وراء ذلك، وحتى إن كان ذلك هدفهم فأين المعدات اللازمة لذلك؟

ولكن كل الأمر فقط هو روح المغامرة ورؤية جبال الإيفريست حلم أي متسلق، فالمشهد رائع، فرَغمَ إرهاقهم إلا أن مجرد رؤية منظر الجبال من بعيد يشحن طاقتهم بالكامل.

صعدوا واقتربوا من المعسكر، كان عبارة عن قرية بسيطة مصنوعة بأيدي علماء ومتسلّقين مشاهير، والغرض منها ثكنة وراحة للصاعدين وشراء أغراض لا تباع في الأسواق العادية، كحُقَن منع الماء الرئوي، وهو مرض ناتج عن الصعود بعد ٥٠٠٠ متر عن سطح الأرض؛ فتأخذ حقنة منها حتى لا تأكل الرئة نفسها وتمتلئ بالماء، ومن ثم تسبب الوفاة.

كما يوجد إعادة شحن الاكسجين وكثير من الأغراض التي تخص التسلق في القمة، بجانب خدمات الهايكينج، وهم الذين فقط يصعدون بدون تسلق بجانب حوارات المياه وغيرها من الأشياء توفرها الحكومة النيبالية بدعم من الأمم المتحدة.

دخلوا إلى المعسكر، وذهب فادي وفهد للحديث مع المسئول المناوب والذي كان أمريكيًا، بينما البقية جلسوا أرضًا لالتقاط الأنفاس، ومنهم من ذهب إلى دورة المياه وغيرها.

جورج: رغم اعتيادكَ شون على القيام بهذا الأمر إلا أنك شعرت بالتعب؛ فكيف ذلك؟!

شون: نعم بالتأكيد، أنا وماديا قمنا بالأمر عديد المرات، ولكن ربما هذه المرة كان هناك إجهاد في الأمر؛ فهي تشبه التدريب في الجيمناسيوم جورج، في

مرة تكون نشطًا، مستعدًا، متحمسًا، ومرات أخرى تكون مجهدًا قليل الحماس، وهذه تعتبر الأخيرة.

إيهاب: كيف رغم قيامكم بالأمر عدة مرات إلا أن هناك شغف للقيام بالأمر مرة أخرى؟

ماديا: ويمكننا القيام بها إلى آخر العمر، إيهاب، الحياة في الجبل تختلف عنها في الأرض، هي تحمل شغف غير معروف، مجرد أن تطأ قدمك الجبال والمرتفعات يصبح الأمر مختلفًا بعد ذلك، تشعر بعد أن تستنشق هواء الجبل بأن الأرض تحتك لا هواء فيها، مجرد أن تكون فوق العالم يشعرك بأنك تملكها، وأنك ملك عليها وكرسي عرشك هو ما نجلس عليه الآن، أتعرف أن هناك أشخاص كانوا أطباء ومهندسين وغيرهم من المهن تركوا أعمالهم ووظائفهم وظلوا هنا لا يغادرون أماكنهم منذ سنوات.

شون: الغريب في الأمر معظمهم أتوا مصادفة لم يكونوا ينوا أن يبقوا، ولكنه الشغف إيهاب كما قالت ماديًا، أو ربّما أشياء لا يمكن صفها.

نزهة: فيمَ كنتم تتحدثون؟ أتمنى لا تكون عني.

إيهاب: هههه لا مجرد دردشة عن سبب العيش في الجبل، رغم مناطق الصعب المتقلب والحياة الصعبة هنا، إلا أنكِ تجدين أنهم لا يتركون الجبال، أصبحَت موطنهم.

نزهة: لأنهم يبحثون عن السعادة هنا وهناك فلم يجدوها إلا هنا، ولا أعني أن السعادة هنا، لا... أعني أنهم وجدوا ما كان ينقصهم خارج هذا العالم، كلًا منهم يحمل قصة ويمكنها أن تصبح رواية في حد ذاتها، انظر لهم يعملون ويعشقون ما يعملون، رغم أن منهم ممكن أن يأخذ خارج هذا العالم أموال أكثر مما يتقاضاها ها هنا.

إيهاب: وهل سعادتك هنا نزهة؟

نزهة: سعادتي معكم جميعًا، أشعر بأني وسط أهلي وديياري، بالطبع ليس لي شغف في البقاء هنا، ولكن أحترم اختياراتهم.

نزهة: ربما سعادتي في مكان آخر أو مع شخصٍ ما أو أو أو... وأنت إيهاب؟

إيهاب: أنا سعادتي في الشعور بالأمان، وأينما حل الأمان حلّت السعادة معها، الأمان هي عدم الخوف من أي شيء، عدم الشعور بالقلق، عدم الخوف مما قد يزيل بهجتك واستقرار حياتك، هي السعادة بدون مكان محدد، وأنت جورج ما هي مصدر سعادتك؟

جورج: امم، سعادتي في الأكل! لا... فقط أمزح، سعادتي في عملي، سعادتي عندما أبيع مصوغات لاثنين مقبلين على الزواج، أتعرفون شيئًا... والدي دائمًا يقول لي أن الذهب يختار أصحابه وليس العكس، نعم فالذهب الذي يتعب فيه الصائغ في العمل يذهب لاثنين يحبون بعضهما البعض، أما من يأخذوا الأمر أنها صفقة الزواج فإن الذهب السهل دائمًا يختارهم، وصدّقتُ تلك المقولة عندما مارستُ عملي في محل الذهب الخاص بوالدي، هذه سعادتي، وماذا عنكما شون وماديا؟ ما هي سعادتكم؟

شون: دعني أفكر قليلًا؛ فالسعادة توصيفها في منتهى الصعوبة، ولكن أشياء كثيرة؛ منها الذهاب إلى الكنيسة يوم الأحد والتجمع مع العائلة، كما أن السعادة عرفتُ معناها الأشمل عندما قابلت ماديا، قبلها كانت حياتي رتيبة لا معنى لها، تقليدية، نمطية، مملة لا حياة فيها، كان ينقصني شيء ما لا أعرفه ولكني وجدته، كما يجدون الماس بعد عناء بحث في بحيرة من بحيرات أوغندا، إنها ماديا بلا شك.

ماديا: سعادتي دائمًا وأبدًا كانت في وجود شون؛ فهو رجل بمعنى الكلمة، عوّضَني عن اليتم الذي عشته وأنا صغيرة؛ فشعرتُ أني وجدتُ أبي وحبيبي وأخي عندما أحتاج أيًا منهم، وجدتُ سعادتي التي لم أبحث عنها، ولكن عندما وجدتُ شون عرفتُ أن هناك مصطلح ما اسمه Happiness.

أتت قبالتهم فتاة نيبالية صغيرة في السن تعرض عليهم شرب شاي «ماسالا» النيبالي الشهير، قطعَت حديثهم، فلم يترددوا في طلب الشاي، وكانت الفتاة الصغيرة لا تتحدث إلا اللغة النيبالية؛ فلم يفهموها ولم تفهمهم، ولكن لطلب كوب من الشاي لا تحتاج لأن تكون خريج هارفرد، مجرد تمثيل مناظر كوب

يكفي، والإيماء بالرأس بالموافقة تكفي.

إيهاب: أنتِ لا تتحدثين أي لغة بخلاف النيبالية، ونحن لا نتحدث بالنيبالية، ماذا عسانا أن نفعل حيال هذا الأمر؟

نزهة: لا... هناك الجملة التي تردّدت في أحلامك إيهاب لقد قلتها ولا أتذكرها.

إيهاب: نعم «كالا بيكاما سيجما فوت» هاهاها.

الفتاة الصغيرة: ''كالا بيكالا سيجما فوت؟!»

هنا تغيرت ملامح الفتاة الصغيرة بعد أن كانت مبتسمة إلى العبوس، وانصرفت مسرعة من المكان؛ مما أثار اندهاش الجميع، ولكن بالأخص إيهاب ونزهة؛ لأنهما يعلمان بالأمر.

فقام إيهاب وتبعته نزهة، كانا متجهين نحو المكان الذي ذهبت إليه الفتاة الصغيرة، فبعد عدة خِيَم هنا وهناك، وبين أجانب يستريحون وآخرين يتأكدون من معداتهم ومستوى الأكسجين في الأنابيب الخاصة بهم للتنفس، وبين آخرين يمارسون الصلاة البوذية، وآخرين في خيم مفتوحة.

وجدوا الفتاة بجوار امرأة تبدو أنها أمها، أمامها مجموعة حطب وبراد الشاي، وتحكي لها شيئًا ما، وما أن رأت إيهاب حتى جزعت وحضنت أمها، والتي ظلت تنظر شذرًا إلى إيهاب.

إيهاب لا يعلم شيئًا، ولا يعلم معنى الجملة التي قد تقلّبها لهذه الدرجة، وحاول أن يستفهم منها على معناها، ولكنها من الواضح مثل ابنتها لا تجيد التحدث إلا بالنيبالية، كما أنها لا ترغب في الحديث، وشاورت لإيهاب بأن يرحل بعيدًا.

اقتربت منها نزهة وربتَت على كتفها؛ لتستفهم عن الأمر، ولكنها ظلّت تردّد بكلمات لا تحتاج إلى مترجم؛ فهي كلمات غاضة من إيهاب، وطلبت منهم بإشارات اليد أن يبتعدوا بعيدًا ويتركوهم في حال سبيلهم.

تركهما إيهاب ونزهة عائدين إلى مكان جلوس المجموعة، ولكن إيهاب غير مدرك ما يحدث؛ لماذا ثورة الغضب تلك؟!

إيهاب: هي الجملة هذه معناها شيء ما يحمل كل ذلك الغضب، ما معناها؟

نزهة: لا أعلم إيهاب، ولكن الأمر أصبح مقلقًا منذ أن رآك الحكيم «باتول» وعدم تعليقه، ثم ما حدث خلف الهوستيل في الغابة، ثم هذا.

إيهاب: أنا يجب أن أغادر عائدًا إلى الهوستيل الإقامة.

نزهة: لماذا؟!

إيهاب: سأذهب إلى هذا الحكيم، هو يعلم شيئًا ما، يجب أن أعرفه، لن أستطيع البقاء هكذا في انتظار الجديد أو ما يمكن الحدوث، لا أريد مفاجآت بعد الآن.

نزهة: تريّث إيهاب؛ كلها يوم، ٢٤ ساعة وسنعود من حيث أتينا، فقط انتظر قليلًا!

لم يقتنع إيهاب بكلام نزهة وعادا كلاهما إلى المجموعة، وظلت التساؤلات تراود إيهاب؛ فأصبح بجانبهم سارحًا، يراهم يتحدثون ويضحكون، ولكنه ليس معهم، هو مصمّم، وما بعد التصميم من رجوع!

(١٦)

كان الجروب يستعد للتحرك، ولكن إيهاب كانت له نوايا مختلفة، حيث بدأ في تحضير شنطته والاتجاه نحو الهبوط من الجبل؛ مما أثار حفيظة المجموعة.

فهد: ماذا تفعل إيهاب؟!

إيهاب: أعتذر منكم، ولكن يجب أن أعود إلى القرية، ومن ثم إلى الهوستيل، هناك أمر ما لا يدعو للتأخر، يجب أن أفعله.

فادي: كيف ستهبط بمفردك؟! الوقت تأخر الآن والشمس قد غربت، انتظر إذا كان الأمر هامًا للصباح، ثم عاود أدراجك في الصباح؛ حتى تكون بأمان.

إيهاب: لا... لا يمكنني الانتظار للصباح، سأشرح لكم كل شيء عندما تنتهون من رحلتكم، لا تقلقوا عليّ.

فهد: كيف لا نقلق؟ الهبوط في مدارج الجبل لا توجد بها إضاءة، بخلاف الحيوانات البرية المفترسة!

نزهة: نعم إيهاب، استمع لصوت العقل.

جورج: نعم إيهاب، أرجوك اسمع كلام من لهم خبرة مثل فادي وفهد.

إيهاب: لا تقلقوا عليّ؛ لقد كنت في كتيبة الصاعقة في الجيش المصري، لا تقلقوا عليّ.

فادي: أرجوك انتبه لحالك، خذ هذا «واكي تاكي» الخاص بي، ويوجد آخر

مع فهد، فقط عليك استخدام الشفرة المكتوبة على الجهاز، لو وقعتَ في مشكلة فقط حدثنا وسنتصرف، فربّما نلجأ لأحد المعسكرات للأمر.

كان إيهاب عازمًا على الأمر؛ فلا مفر من إرجاعه عن رأيه، حزم حقيبته ووضعها على كتفه، ثم اتجه عكسهم وتحركوا البقية، عدا نزهة ظلت مذبذبة في أن تذهب معه أو أن ترحل مع المجموعة، ثم اتجهت معهم.

تحرك إيهاب وحده نحو الهبوط إلى الأسفل، وكان عازمًا على الأمر، لا يفرك إلا في سير الأحداث منذ البداية، ما يراه أمام عينيه ليس الطريق الوعر والظلام الذي بدأ يحل بالطريق حتى أصبحت الرؤية شبه منعدمة إلا نور القمر أعلاه، والذي يبدو قريبًا من هذا الارتفاع.

بل ما يراه ذلك العجوز وما مر به وأنه رآه فعلًا، ليست خيالات، بل إن يداه التي كادت أن تحترق إلا من التهاب بسبب إمساكه للقلادة من النيران أصدق دليلًا على ذلك.

يجب أن يذهب للحكيم، يجب أن يعرف ماذا يجري، يجب أن يفهم ما يجب أن ينتهي الأمر، يجب... يجب.. كلها إجابات غير مفهومة أو أسئلة مبهمة.

النزول من الجبل أسرع من الصعود، ولكن ليس أسهل؛ فالإسراع ممكن أن يصيبه، كما أن الظلام يمكنه أن يجعله عرضة للسقوط من أحد حواف الجبل، ولا توجد وسيلة مساعدة.

ولكن مدة تجنيده كان يخدم في سيناء، وكان معتادًا للصعود إلى جبال سيناء؛ فهي ليست كهذه، ولكنه اعتاد على التحرك ليلًا وحده، كما اعتاد على الحرص من الألغام وغيرها.

لذلك هو يقِظٌ في النزول رغم الظلام، يستخدم الكشاف عندما يحتاجه فقط، والباقي يستعين بنور القمر، حتى لا تنفذ بطاريات الكشاف.

ينظر وراءه؛ فهو ابتعد كثيرًا عن أقرب نقطة نور وهي المعسكر، حتى تلاشى هذا النور إجماليًا.

لقد أصبح وحده الآن، إنها ساعات الحقيقة، يجب عليه أن يكون سريعًا في الهبوط، كلما أسرع كانت فرص نجاته أفضل من ذي قبل لِأَن يقترب من أقرب معسكر.

تبًا لهذه الصخور التي لا تنتهي، أن تصدم بإحداها؛ فتصاب فتصبح ميتًا لا محال؛ حيث ستقع غير قابل للحركة، مجرد وليمة جاهزة لأحد الفرائس البرية، وجبة دسمة قابعة في ظلام أحد هضاب الجبل بين ثنايات الطريق.

إلا اذا كنتَ محظوظًا ليجدك أحدهم، ولكن هنا توجد قوانين، حيث أن شخصًا مصابًا لا يمكن حمله؛ لأنه سيبطئ الآخرين؛ لذلك سيترك أيضًا لأحد فرق الإنقاذ، وفي دولة بإمكانيات نيبال.

فالأقرب لك أن تكون وجبة على أن ينقذك أحدهم، أقصد بالطبع فرق الإنقاذ.

إيهاب لوحده يجب أن يحدّث نفسه حتى لا يصاب بالهلع والجنون، يفكر منذ عدة أسابيع أين كان.

نعم كان في مدافن البساتين، حيث يافطة من الرخام «مدافن عائلة الوايلي» «المرحوم والمغفور له بإذن الله الحاج «الوايلي قراعة» وتاريخ وفاته، نعم يرى الآن نعش أخيه محمد حسن الوايلي والمشيعين، ويرى أباه لا يقوى على النهوض، جالس في أحد أطراف المدفن يبكي، بينما يقوم هو بأخذ الجثة، أو ما تسمى باللغة الدارجة «الأمانة».

مدخلها داخل المدفن هو وأخوه مالك وأولاد عمه، منظرٌ مهيبٌ تقشعّر له الأبدان.

أعطوا الأمانة التي عادت لخالقها إلى «الثرى» ليدفنها تحت التراب، ثم مشهد العزاء ليلًا.

أصوات المقرئ لا زالت في أذنه «يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي» صدق الله العظيم.

هل لو مات الآن إيهاب سيحظى بكل هذا؟! أم فقط صورة توضع على خشبة في أحد جنابات الجبل.

كما يحدث مع المفقودين من جراء الانهيارات الثلجية، فعندما لا يجدون جثثهم، تبحث المجموعة عنهم لأسبوع، ثم بعد ذلك تقام لهم مراسم عزاء الفقد، عبارة عن وضع صورته وبعض متعلقاته على أحد الأشجار أو خشبة ومعها أكاليل من الورود، وبعض لحظات الصمت، ثم يبتلع سيرته الجبل كما يحدث مع جميع من ماتوا هنا.

بالتأكيد لن يوجد مقرِئ أو يتواجد الأهل بجانبه، تحدّث إلى نفسك كثيرًا إيهاب؛ فكما هناك ظلام فيوجد صمت يقبع على جنابات الجبل، إلا من أصوات البوُم النيبالي والخفافيش والدببة وغيرها.

حدّث نفسك حتى لا تصاب بالجنون، تلك الأجواء ليست كتلك التي رأيتها في مدة تجنيدك في سيناء.

ولكنها ليست كحادث انفجار زميل لك في الجيش خطى على أحد الألغام الأرضية التي وضعها كارهي الحياة سبّبت لانفجار زميلك الصعيدي الذي كان يأكل معك صباحًا يستعد لجولة الحراسة ليلًا، يعُدّ أيامه المتبقية في الجيش حتى يعود إلى سوهاج ويتزوج حبيبته، ولكن لغم ما نسفه، تطايرت أجزاء جسده في كل مكان.

لم يزدهم الأمر إلا عزيمة أن يحموا أرضهم ويموتوا من أجلها؛ فمن لها سواهم، فلن يجنِّدوا جنسيات أخرى للدفاع عن أرضهم.

هنا يموت الجندي؛ ليزرع مكان ألف جندي آخر مستعدين للتضحية، الأمر مختلف، ولكن ليس ببشاعة كارهي الحياة.

فحتى المفترسات تحاربك بشرف تواجهك، أما كارهي الحياة دائمًا يحاربونك بجبن وخسّة، ومن خلال الأسوار.

أين تلك القردة التي تتواجد في كل موطن داخل تلك البلد، هي الآن بالطبع فوق الأشجار تنظر لإيهاب وتستعجب من جراءته، ولكنها لن تساعده، تكره البشر، هم من استولوا على أراضيهم، هذه أرضهم وأرض أجدادهم، واستوطنوا

فيها البشر واستولوا على كل شيء؛ حتى الموز أكلتهم المفضلة أخذوها.

ولكنهم هنا ملوك عكس بلدان أخرى، لقد فكر إيهاب حتى في حال القردة وهذا الجنون، ولم ينقص الوضع سوءًا سوى هطول الأمطار بغزارة، ربما يجب أن يستريح قليلًا تحت أحد الأشجار بجانب الطريق حتى يهدأ المطر قليلًا.

هذا وقت الاستراحة والتوقف عن النفس، لقد أصبح على وشك الجنون.

(١٧)

كانت تركز وحيدة نحو أسفل الجبل، نعم إنها.. كانت نزهة، لقد كانت مترددة في اتباع إيهاب، ولكنها أخذت قرارًا متأخرًا في أن تتبعه، فلن تتركه وحيدًا يهبط الجبل لوحده.

كانت الأمطار تهطل بغزارة، ولكنها كانت كل مرة تزيل شعرها المبلل الذي يتساقط على وجهها وتسرع في خطواتها؛ لتحاول اللحاق به حتى تكون معه حينما يهبط من الجبل.

كم هي شجاعة وجريئة، لتفعل ذلك، ولكن لديها أسبابها، ربما هو الحب؛ فالواضح أنها أحبّت إيهاب ولم تستطع أن تتركه وحيدًا، يقولون عندما يكون لديك من تحبك فلديك جيش كامل في ظهرك.

هي الآن جيشه؛ لمَ ستبقى مع المجموعة؟! إن الحياة مجموعة قرارات، قرارات مصيرية تغيّر حياتك، وهذا قرار مصيري.

هي راهنَت على كل شيء، وربما راهنت على حياتها نفسها؛ فربما تفقد حياتها دون أن يعرف إيهاب بأنها نزلت وراءه.

ولكنّها لا تأبه لكل ذلك؛ فكل ما يهمها هو اللحاق به، فاثنان دائمًا أفضل من شخص واحد، ما قد يواجها معًا أفضل في نتائجه عن ما يقابله أحدهما، أما الرحلة فلا تأبه بها الآن؛ فكل ما يعنيها الآن هو أن تجده.

ولكن مهلًا ماذا ترى الآن؟! إن نمرًا أسيويًا الآن يعترض طريقها على بعد

منها، ماذا تفعل الآن، إذا ركضَت سيركض وراءها ويفترسها، إنه ثاني أسرع حيوان على البرية، ولكنها لن تقف هكذا فسيفترسها أيضًا، دقات قلبها تكاد تتوقف من الخوف.

عندما ترى النمور والأسود والضباع في التلفاز بأحد برامج Nat Geo بخلاف ما قد تراه على الطبيعة على بعد أمتار قليلة.

ينظر النمر بشذر ويدرس الموقف، إنه جائع وهذه فريسته وحيدة خائفة، ما عليه سوى الانقضاض عليها؛ لتصبح وليمَته الآن.

إنها ترتجف خوفًا، هي تخاف عندما ترى كلابًا ضالة في بلدها تونس، ما بالك أن ترى نمرًا أسيويًا أمامها، ترتعد أوصالها؛ فهي قد تموت رعبًا قبل أن يلتهمها.

لا مفر... إذا تراجعَت للخلف خطوة سينقض عليها ويلتهمها هو أسرع عشر مرات من «بواسين بولت»، وإذا تحرَكت شمالًا، ستسقط من الجبل وستموت بارتطامها بالصخور؛ لتموت أشنع من ميتة النمر، ماذا عساها تفعل؟!

إذًا لا مفر من الموت لتنتهي المغامرة عند ذلك الحد.

«أشهد أن لا إله إلا الله وأن سيدنا محمد...».

فجأت جذبتها يد من فمها لتصمت نحو أحد الأماكن المظلمة بجانب الطريق، ارتعدَت أكثر، ولكنها لم تستطع الصراخ بسبب اليد على فمها، ولكنها استجمعَت ما تبقّى من قواها؛ لتنظر إلى الخلف لترى من يمسكها.

إنه إيهاب!

كان يرى النمر فاختبأ بين جذوع الشجر على جانب الجبل، أشار لها بالصمت؛ لأن إصدارها أي أصوات ستجعل النمر يقترب ناحيتهما، وسيموتان كلاهما.

اختفيا كلاهما بين الجذوع في الظلام بدون حديث؛ حتى لا يسمعهم النمر فيلتهمهما، ولكنه همس لها في جدية.

إيهاب: أأنتِ مجنونة نزهة؟ ماذا أتى بكِ؟ لماذا تركتِ المجموعة؟

نزهة: أنا لن أتركَكَ وحدكَ إيهاب، لقد أخطأتُ حينما تركتكَ من البداية.

إيهاب: أخفضي صوتكِ قليلًا، رؤيتهم ليلًا ضعيفة، ولكن لديهم حاسة سمع قوية.

نزهة: كيف عرفتَ مكانه واختبأتَ؟

إيهاب: لقد كنتُ هنا أحتمي من الأمطار، حتى سمعتُ حفيفًا اعتقدتُ أن أحد الصاعدين إلى الليل ورأيته؛ فاختبأتُ بلا حراك هنا، حتى رأيتكِ، فعلتِ خيرًا بأنك لم تحاولي الفرار أو الركض، أنتِ شُجاعة!

نزهة: ليسَت شَجاعة، أنا فقط لم أعرف ماذا أفعل؛ فليس كل يوم تجد أمامك نمرًا أسيويًا يستعد لالتهامك.

إيهاب: لم أعني تلك الشجاعة، أعني شجاعتك في أن تتبعيني وتتركي المجموعة، شجاعة حمقاء منك.

نزهة: ولا هذه شَجاعة، ربّما حماقة، ولكنها ليست مثلك ومثل حماقتك.

إيهاب: ولماذا كل ذلك نزهة؟

نزهة: ألم تفهم بعد يا أحمق؟! أنا أحبك يا إيهاب.

حضَنها إيهاب بقوة، الآن إيهاب لديه جيشه الذي سيتحدّث به العالم، الآن في أحد منعرجات جبال نيبال، وفي الظلام، وأمامهم نمر أسيوي يتحرك يمينًا ويسارًا قاطعًا الطريق في انتظار فريسته التي اختفت في لحظة.

ليس الجو الرومانسي الذي كتَب فيه من قِبَل ويليم شكسبير وألكسندر دومًا وغيرهم.

رومانسية في إطار جديد، فعلَتْها نزهة ليس قولًا، بل فعلًا؛ عندما تركت نزهة المجموعة ووضعت حياتها على المحك ونزلَت لِتكُون مع إيهاب.

وحُضن إيهاب أشعرها بالأمان الذي افتقدته عنما اصطدمت بالنمر، كان الحضن هو أبلغ رد لحب إيهاب أيضًا، هي الآن مستعدة للموت، الحب يعني الحياة وإن اقتلعت هذه الحياة يظل الحب موجودًا، هذه السعادة.

ولكن إيهاب لن يحتفل بهذا الحب لعدة دقائق ثم يموت، خلع جاكته المبلّل ولفه حول قطعة خشبية ملقاة بجانب الجذوع الذي يختبئون فيها.

نزهة: ماذا تفعل إيهاب؟

إيهاب: النمور والدببة والفهود وغيرها تخاف من النيران، سأستخدم هذه الخشبة كمشعل.

نزهة: وماذا لو كان الأمر خاطئًا؟ لماذا لا ننتظر هنا؟

إيهاب: بقي أكثر من خمس ساعات على حلول النهار، هو عنده قدرة للانتظار، ونحن لن نستطيع الصمود.

نزهة: أليس معك «الواكي تاكي» الخاص بفادي، يمكننا طلب النجدة.

إيهاب: هو لا يعمل هنا، حاولتُ عدة مرات، ولكنه لا يستجيب، كما أن صوت التشويش به مغامرة أن يسمعنا وينقض علينا.

نزهة: أنا خائفة.

إيهاب: لا تخافي نزهة، لن أدع أي شيء يؤذيكِ، أنتِ حبيبتي، فقط كوني في ظهري.

أخرج إيهاب من حقيبته قارورة بها جازولين، وكانت من ضمن لوازم السفر لإشعال النيران، وكبّ جزءًا منها على قطعة القماش وأشعلها، ثم تحركا خارج الجذوع.

انتبه لهما النمر ورجع ثانيةً لمنتصف الطريق، وكان إيهاب أمامه بعدة أمتار ممسكًا المشعل في حذر، وخلفه نزهة مرتعبة خوفًا من المواجهة التي تشبه مواجهة الإنسان البدائي للمفترسات، كان كلاهما حذر في خطواته.

لم يكن أيًا منهم النمر وإيهاب يريد الاقتراب؛ فالنمر يخشى النيران، أما إيهاب فكان حذرًا في خطواته حتى لا يلتهمه النمر.

إيهاب: اسمعيني جيدًا، لو حدث شيء فقط اركضي بأقصى سرعة بعيدًا، لا تحاولي الانتظار وإنقاذي، اركضي للأسفل ولا تنظري للخلف أبدًا مهما حدث، أتفهمين؟

نزهة: لن أتركك.

إيهاب: اسمعيني ولا تردّدي كلامي وإنما ساعة الحقيقة، سأحاول الاقتراب منه وتخويفه بالمشعل.

بالفعل انصاعت لكلامه وبدأت في مرافقته من الخلف، بينما هو يقترب رويدًا رويدًا من النمر، بينما النمر بدأ عليه الخوف من النيران!

لمح إيهاب حافة للجبل أمامها قطعة صخرية كبيرة؛ فاقترب منها وكذلك اقترب النمر، فكيف يفوّت تلك الوجبة، بدأ يلوح بالمشعل تارة ناحية النمر وتارة أخرى بعيدًا عنه.

مما شجعه للاقتراب أكثر، وفي مشهد «هيتشكوكي» نسبة لألفريد هيتشكوك أصبح كلاهما محاصرَين وراء الصخرة، وكان النمر يدرس الموقف ويستعد للانقضاض عليهما؛ لأنه أدرك أنهما أصبحا بلا حيلة، وأنهما الآن في مرمى قفزته.

أخذ قراره- النمر- سينقض عليهما وهو يستعد للقفز، لوّح إيهاب بالمشعل ففرّ النمر فوق الصخرة التي كانت ملساء، ومن الأمطار عليها لم يستطع التوازن؛ فسقط من على حافة الجبل.

انتهى الكابوس وسقط النمر من حافة الجبل، نظرا من على حافة وجدا النمر يصارع الموت حتى توقف عن الحركة.

لقد انتهى الأمر الآن، نظرا إلى بعضهما البعض ولم تتمالك نفسها نزهة إلا أن تحضن إيهاب.

لقد كُتِب لهما الحياة بعد أن كانا قريبين من الموت، ولكن الأمر لم ينتهي بعد؛ فعليهما التحرك الآن.

البقاء هنا يعني خطورة على حياتهما، عليهم الهبوط من الجبل سريعًا، لقد هدأت الأمطار وأصبحت الرؤية أوضح.

ربما يجدا أشياء أخرى؛ لذلك عليهما ألا يبقوا في مكانهم، كلما اقتربا من

الهبوط كان أفضل لهما وفرص نجاة مضاعفة؛ لانهما سيجدان القرية التي بدأوا منها الصعود.

إيهاب: هيا بنا حبيبتي، البقاء هنا فيه خطر داهم، فكما هنا تواجد نمر، هم لا يقون بمفردهم؛ فيجب أن تكون هناك أخريات، علينا الهبوط سريعًا.

الحب يخلق شجاعة، الحب يخلق دافعًا، الحب يخلق أملًا؛ فالحب يخلق كل شيء.

(١٨)

اتجه كلًا منهما نحو الأسفل وكانا قد أُنهكا من الصراع مع النمر، ولكن رغم الظلام الدامس وبرودة الأجواء إلا أن نقطة النور التي ظهرَت من بعيد أرجعَت شيئًا من الأهل لإيهاب ونزهة.

إنها نقطة التفتيش والمرور، رجعَت الطاقة لهم في أن يصلا نحو أسفل الهضبة، ولكن مرة واحدة سقط إيهاب أرضًا، لم تعد قواه تحتمل التكملة، سقط أرضًا ولم يعد يحتمل التكملة.

ولكن نزهة لن تتركه، حملته وتحركت نحو نقطة التفتيش، ولكنها لم تستطع أن تحمله أكثر من ذلك، ماذا تفعل الآن؟! حملت إيهاب بما بقى لها من قوى وأسندته على طرف الطريق، وركضت سريعًا نحو نقطة التفتيش.

إيهاب فتح عينيه قليلًا ورآها تتحدث مع الضباط في نقطة التفتيش، وتشاور في اتجاه إيهاب؛ فَهِمَ أنها تستنجد بهم لإنقاذه حتى غاب عن الوعي تمامًا.

لقد بذل مجهودًا كبيرًا من بدء الرحلة من ما حدث له خلف الهوستيل بداية الأعشاب.. ثم بدء الصعود صولًا... حتى عدم الراحة ونزوله سريعًا.

لم تعد قواه تحتمل؛ فخارت قواه وغاب عن الوعي، حملاه على سرير طبي قماش جنديان من حرس الحدود النيباليين، واتجهوا به إلى غرفة الطبيب المعالج، لم تتركه نزهة، كانت تمسك بيديه.

هو لم يشعر بأي شيء سوى يدي نزهة الممسكة به.

الضابط المناوب: ماذا حدث هنا؟ وأين المجموعة المرافقة؟!

نزهة: كنا معهم عند الكيلو ٢٥٠٠، ولكن وصلَت مكالمة طارئة من مصر، وهي بلد إيهاب كما ترى في صور الجواز؛ فاضطر للنزول سريعًا.

الضابط المناوب: آه، وأنتِ مَن تكونين؟ ولماذا نزلتِ معه؟

نزهة: أنا رفيقته، وكان من المستحيل أن أتركه بمفرده، فرافقته في رحلة الهبوط.

الضابط المناوب: أكان الأمر بتلك الأهمية للنزول في وقت متأخر؟!

نزهة: نعم، كان طارئة.

الضابط المناوب: أحدَثَ شيء له أثناء الهبوط من الهضبة؟

نزهة: لا... لا شيء إطلاقًا، فقط خارت قواه وكما ترى.

الضابط المناوب: لا أشعر بأني يجب أن أصدّقك، أشعر بأنك تخفين شيئًا ما!

نزهة: لا، وما عساي أن أخبئ، إيهاب عاشق لنيبال كما أنا بالضبط، وكانت هذه الرحلة، أقصد صعود الرقعة «كالابتهار»، من ضمن أحلامنا.

الضابط المناوب: اممم لا مشكلة، سيستريح قليلًا ثم ننقلكما إلى مكان إقامتكما، أي هوستيل تنزلون به؟

نزهة: هوستيل السلام.

الضابط المناوب: آه، أعرفه جيدًا، سيستريح هذا الشاب قليلًا ثم ننقلكما.

تركته نزهة مسرعة نحو إيهاب، بعد أن نجحت خطتها في أن تكذب حتى تبعد عنهما الشبهات، هي ذكية؛ تعلم جيدًا حال علم الضابط بموضوع النمر الأسيوي فلن يمر الأمر مرور الكرام؛ أن النمور قابلة للانقراض.

ذهبت نزهة إلى العيادة المتنقلة وجلست بجوار إيهاب حتى استيقظ وبدأ ينظر حوله أين هو؟! ومَن أتى به هنا في هذه العيادة؟

إيهاب: نزهة، أين نحن؟ ومن أتى بنا هنا؟!

نزهة: لقد سقطتَ مغشيًا عليك، قل ٧٥ متر من نقطة التفتيش والمرور، استنجدتُ بقوات حرس الحدود؛ فحملوك وأتَوا بك ها هنا.

إيهاب: أنا لا أعرف من دونك نزهة ماذا كنت سأفعل، أنتِ ملاكٌ عوضني الله بكِ عن كل شيء في حياتي، كل شيء في حياتي لا لون له أصبح بك الآن ملوّنًا.

نزهة: ربّما أنا المحظوظة بوجودك بجانبي، ولكن لا تحاول أن تجهد نفسك، إيهاب، ربما لستُ في حاجة لخوض معارك جديدة، دعنا من كل ذلك ودعنا نرحل من هنا.

إيهاب: ربما نزهة، ولكن ليس بعد ما رأيناه وعانيناه سنتراجع الآن، بقي خطوة واحدة؛ سنذهب إلى الحكيم «باتول» ونجلس معه نستفهم عن كل شيء، لا تقلقي، وربما الأفضل أن أتركك في الهوستيل و...

نزهة: لا تكمل إيهاب، أنا معك في كل مكان تذهب له، ومعك في كل قرار تتخذه، لن أتركك الآن.

إيهاب: نزهة، أنا لا أريد أن أعرّضك لأي سوء، أنتِ غالية عندي كثيرًا ولا أريد أن أفقدك.

نزهة: لا إيهاب حبيبي، لا سوء وأنا معك، السوء بعيد عنك، هيا ارتَح قليلًا؛ الضابط المناوب سيرسل لنا بعد قليل سيارة تنقلنا إلى الهوستيل.

إيهاب: جميل جدًا، تعالِي بجانبي؛ فأنا أريد أن أنام في حضنك اليوم، لا غد لا وداع، فقط حضنك.

كان هناك رباط بينهما يكبر يومًا عن يوم، رباط صعب فكّه، لقد وصلا لدرجة من الحب، بأن كلًا منهما يضحي من أجل الآخر ولا يأبه ما يحدث له.

وأما الطرف الآخر بخير، هذا هو الحب؛ هو أن تضع مصيرك وأحلامك وآمالك رهن الطرف الآخر.

هذا الحب أنسى إيهاب معاناته مع حبيبته السابقة، والتي عرف الآن بأنه

لم يكن حبًا، فالشخص الذي يضع حبيبه كبديل حين يأتي شخص مناسب «جاهز» كما يقولون، فإنه بالطبع ليس حبًا.

أي شيء يأتي من الله عز وجل له حكمة في ذلك، فربّما كانا تزوجا كلاهما، بالطبع إيهاب ومريم، وكانت حياتهما ستصبح مأساة وجحيمًا؛ لأن البناء الذي بينهما لم يكن حبًا من الأساس.

كان ذلك أفضل لإيهاب، ولم يكن يدري الحكمة من وراء ذلك، ولكن الحكمة الآن؛ فلولا صدمة وفاة شقيقه وانفصاله عن مريم دفعه إلى اتخاذ قرار بالسفر إلى نيبال ليقابل نزهة.

تلك الملاك الآتية من تونس الخضراء، والتي عندما قابلها غيّرت كل حياته.

(١٩)

«شركة الوايلي للديكورات وتجهيز الشركات» تأسّست ١٩٧٩.»

كانت تلك يافطة كبيرة مجدّدة فوق اليافطة الأصلية للشركة وقف أمامها قليلًا الحاج حسن الوايلي بعصاته التي يتعكز عليها قبل أن يستقبله العاملون في الشركة بالترحيب، قليلًا ما ينزل الشركة لظروف سنّه ومرضه، وبسبب وفاة ابنه الأكبر محمد كسر عنده الدافع للحياة والقابلية للعيش.

لقد قاسَى كثيرًا في حياته، صنع نفسه بنفسه منذ أن كان مقاول أنفار، ثم اشترى دكانًا صغيرًا لتوريد مواد البناء، حتى تطوّر الأمر مع الانفتاح في عهد السادات، وفتح شركة ديكورات وبدأ في استيراد مواد ديكورات للمنازل، ثم تطوّر الأمر وأصبح اسمًا ثقيلًا له وزنه في عالم الديكورات.

وعندما أصبح العمل ثقيلًا عليه وكّل ابنه محمد لتعلم المهنة منه؛ لتكملة ما بدأه منذ سنوات، ولمس في ابنه محمد الاجتهاد والرغبة في التطور والدافع للتعلم، وبالفعل لم يخذله بل طوّر العمل وبدأ الدخول في صفقات هنا وهناك أكثريتها كانت مربحة؛ فزاد حجم العمل، ثم حوّل الشركة من مجرد العمل بالطريقة التقليدية «الميني فاتورة» إلى العمل بنظام وبسِيسْتم حسابات ومراقبة ومخازن وغيرها.

دخوله إلى الشركة كان ثقيلًا، ولكنه كان راغبًا في رؤية حركة العمل بنفسه والاطمئنان على إدارة ابنه مالك للعمل، من الصعب الآن أن يشرب «مالك» العمل الآن، وحسن الوايلي كبر في السن ولم يعد لديه الطاقة ليبدأ من نقطة

الصفر ثانيَة ليعلّم مالك ما علمه لأخيه محمد، كما أن لو في نية حسن الوايلي ذلك فلن يسعفه العمر للقيام بذلك.

ولكن وجب عليه أن يساعده حتى يظل الاسم موجودًا، فكان عليه أن ينصحه ويصنع له الأساسيات، وعليه أيضًا الاستماع منه على استراتيجية عمله ورؤيته لطريقة العمل الفترة القادمة.

فقط سيستمع، ويحاول إبداء النصيحة، لكن أن يغير أي شيء لم يعد ممكنًا الآن.

حسن الوايلي: طمنّي بني على طريقة العمل؟ كيف يسير العمل معك؟ وهل هناك أي شيء يُوقِف سير العمل؟

مالك: أبي، كل شيء على ما يرام، العمل يسير جيدًا جدًا.

حسن الوايلي: كيف ذلك؟!

مالك: نحن الآن ننفذ عقود توريد عمل إلى العاصمة الإدارية الجديدة، وتوجد ضغط في التوريد لدرجة أن هناك تأخير في التسليمات بسبب الضغط علينا.

حسن الوايلي: جيد جدًا، وماذا عن الضرائب والفواتير الضريبية، هل كل شيء بخير؟

مالك: رغم أنك تحدّثتَ مع المحاسب القانوني للشركة واطمأنّنت على كل شيء، ولكن كل شيء بخير، وندفع مبالغ الضرائب في ميعادها وسنستفيد من قانون ضرائب جديد من الممول عندما يدفع أصل المبلغ المستحق عليه؛ فإن المصلحة تخصم ٩٠٪ من قيمة الفوائد عليها.

حسن الوايلي: جميل جدًا أحسنت، وبالنسبة للمخازن، هل المخزون جيد معك؟

مالك: هناك تغيّرات في الأسعار الفترات السابقة في تصاعد دائم؛ بسبب أن ماكينات تصنيع المواد الخام تستخدم السولار لذلك، رغم نقص السيولة التجأنا لتخزين أعداد هائلة من البضائع؛ حتى لا يصيبنا نزول معدل المبيعات والتوريدات

بسبب ارتفاع الأسعار.

حسن الوايلي: وكيف حال العمال والموظفين؟

مالك: وضعتُ لهم آلية عمل ومواعيد؛ لأني لاحظتُ أن مواعيدهم مختلفة ومتغيّرة، ورغبتُ في تحسين العمل.

حسن الوايلي: اسمعني يا بني، لم نكن على ما نحن عليه إلا بهؤلاء العمال والموظفين؛ فهم من بنوا معي الشركة، منهم من كان معي في بداياتي؛ فلا تقسو عليهم الآن، لقد خدمونا بصدق وإخلاص.

مالك: أبي...

حسن الوايلي: اسمعني جيدًا بني، قد لا يكون في العمر ما تبقى لأشرح لك فيما بعد، هم ليسوا بآلات، التكنولوجيا جيدة وبرامج الحسابات محمودة لسير العمل وتقليل فرص السرقة، ولكن هؤلاء العمال هم كل شيء، فلا تحاول أن تخطو عليهم في سبيل الوصول إلى أرباح عالية، هم يقبلون بالفتات فلا تحاول كسرهم.

مالك: أبي، ولكن هناك عاملان سنهم كبر، وأصبحا لا يقوَى على العمل، وأفكّر في إعفاءهم عن العمل مع إعطاءهم معاش مناسب.

حسن الوايلي: هل جننت؟! هؤلاء بمثابة إخوة لي، خدموني عندما كنت صغيرًا في العمل، سافروا وباتوا في العراء لاستلام شحنات البضائع، هؤلاء تحملوا عندما توقّف العمل لعدة سنوات بسبب القوانين في أوائل الثمانينات ولم يتركوا العمل، تعطيهم معاشًا؟! هذا بمثابة شهادة وفاة لهم.

مالك: أنا لا أستفيد منهم على الإطلاق!

حسن الوايلي: بني، إكرامًا لهم لا تجهدهم في العمل، ودائمًا الجأ لهم في النصيحة، حتى وإن لم تكن ستعمل بها، ولكن لا تشعرهم بأنهم كخيل الحكومة عندما يكبر يطلق عليه النيران، أرجوك.

مالك: حاضر، سأنفذ كل ما تأمر به.

حسن الوايلي: بني، اسمعني جيدًا؛ أتعرف التاجر الذي في الشركة أمامنا؟

مالك: نعم المرحوم «سيد الجريتلي» هو منافس لنا، ابنه علاء منافس لنا.

حسن الوايلي: لا بني، هو ليس بمنافس، هو جار لك، وكما كان بيننا، هو وأنا، احترام يجب أن يكون كذلك بينكما، لقد سمعتُ بالمناوشات بينكما، لا بني، ما لا تعلمه هو أن المرحوم «سيد الجريتلي» بدأ بعدي بسنتين العمل، وأفنى عمره على عمله ذلك.

مالك: أعلم كل شيء، أرجوك لا تُجهِد نفسك في الحديث كثيرًا.

حسن الوايلي: أرجوك لا تقاطعني، إن ابنه علاء ينوي بيع الشركة والمخازن للهجرة إلى كندا، أكنت تعلم ذلك؟

مالك: لا أبي، وما يعنينا الأمر؟! هي أملاكه وهو حر بها.

حسن الوايلي: ليس هذا ما أقصده، أقصد بأنه أرجوك عندما أموت لا تقُم أنت وأخوك بذلك، لا تعجلوا كما متّ بجسدي أن أموت باسمي وتزال يافطة حسن الوايلي من الواجهة، لن أعيش للأبد، أيامي معدودة وسأقابل ربًا كريمًا.

مالك: لا أبي، لا تقل ذلك، طوّلتُ العمر لك، ولماذا نفعل شيئًا كهذا؟!

حسن الوايلي: كما فعل ابن المرحوم «سيد الجريتلي»!

مالك: لا أبي، وعد ودين عليّ لن يحدث هذا، ولكن أرجوك كفاك حديثًا في الأمر.

حسن الوايلي: طلب آخر، غيّر يافطة المحل وأضف إليها من تحت والمرحوم «محمد حسن الوايلي»، أرجوك لا تجعل سيرة أخيك تتوقف، وافعل نفس الشيء معي.

مالك: حاضر أبي، ولكن لا تُجهد نفسك.

حسن الوايلي: سأقوم إلى المنزل الآن، شاركني يا ولدي في أمور العمل،

حدثني عنها، حتى لو رأى الآن غير هام، فقط أشعرني أني لا زلتُ صغيرًا وأتحمل مسئوليات العمل معك، سألتَ عن إيهاب أخيك؟ أحدثته؟

مالك: إيهاب؟ آه حدثته وهو بخير، ولكن ضغوط البحث عن عمل هناك والتدريب شاق جعله لا يتحمل، ولقد عذَرته عندما سمعت منه، فالإمارات الكل يعمل لا كلَل ولا ملَل، لا تقلق عليه؛ هو بخير وسيحدثك لاحقًا.

أنهى حسن الوايلي حديثه الهام في أمور العمل مع مالك، ولكن قبل أن يخرج من الشركة أحس بأنه أثقل عليه الحديث قليلًا.

حسن الوايلي: بني، لقد قسوتُ عليك قليلًا، أرجوك لا تزعل مني، فأنا أحبك أنت ابني، أترى تلك العكاز في يدي، أنت لي كمثله، ويومًا ما ستقف مكاني وستترك ابنك خلفًا كما أتركك الآن، ربما لن تستوعب كلامي الآن، ولكن مستقبلًا ستفهم جيدًا حديثي وكلامي، اعتني بنفسك واعتني بأخيك إيهاب هو يحتاجك.

خرج الوايلي من شركته وأحس بأنها آخر مرة سيخطو فيها الشركة، نظر مليًّا نحو شركته كأنما يملأ عينه منها، ربما تكون آخر مرة يدخل شركته، ثم نظر نحو يافطة شركة «سيد الجريتلي» واستعاد ذكريات منافستهم مع بعضهم الشريفة، كما تذكر ضحكة «سيد الجريتلي» معه.

«أيها العجوز حسن الوايلي، لقد كبرتَ بينما أنا في ريعان شبابي، وربما سأتزوج ثانيَّة.»

تذكر وآلم الذكرى دائمًا سكاكين في القلب، ستنزل هذه اليافطة قريبًا عندما يبيع الابن شركة والده، وستُزال كل معالم بها وكل شيء سيذهب ويستبدل بديكورات أخرى لشركة، و»سيد الجريتلي» راقد في التراب، ستنتهي سيرته وينتهي كل شيء، لقد مات مرتين الآن!

ظل مالك سارحًا في كلام والده، من قَال علوم الإدارة دراستها في الجامعات والأكاديميات، علوم الإدارة هي من تلك الرجال الذين لن يعوضوا، هم الأصول

الثابتة دائمًا.

الحديث ترك جرحًا جائرًا مفتوحًا في قلب مالك، لن يندمل، ما دام النعمة لا يدوم، فدوام الحال من المحال، عليه أن يعمل ويجتهد حتى تبقى سيرة والده وتعبه وشقاءه كل تلك السنوات موجودة.

ليس بالكلمات، فقط بالعمل وإخلاص النوايا كل شيء يستقيم، الآن عليه أن يستعيد أخاه؛ فهو يحتاجه، والدهم يحتاجهما؛ ليبقوا معه ويشعروه بالأمان، عليه أن يفعل شيئًا، لا أن يقف مكتوف الأيدي هكذا.

الأخ دائمًا وأبدًا سند، وهو الآن في الخارج، يحتاجه، يشعر بأنه ليس بخير، يجب عليه أن يفعل شيئًا ما حيال الأمر.

(٢٠)

وصل إيهاب ونزهة إلى هوستيل السلام بواسطة سيارة تابعة لقوات حرس الحدود، وكان إيهاب شغوفًا لينهي السبب الذي ترك الرحلة من أجله، وألا وهي مقابلة الحكيم «باتول» والشخص الوحيد الذي يمكن مساعدته في الأمر هو موظف الريسبشن «براجماتابا».

دلفا إلى الهوستيل، استغرب الموظف قليلًا لأنهما أتيا بهذه الطريقة، واستغرب أيضًا لأن الرحلة بقي عليها يومين كاملين، ولكنه لا عليه أن يبني رباط مع النزلات.

إيهاب: سلام سيد براجا.

براجا: أهلًا وسهلًا سيد إيهاب، أتمنى أن تكون الرحلة كانت على ما يرام، أهناك خطبٌ ما؟ أرى سيارة حرس الحدود تنقلكما إلى هنا، أكُلّ شيء على ما يرام؟

إيهاب: إنها قصة طويلة، أحتاج لمساعدتك.

براجا: بالطبع سيد إيهاب، أي شيء أنا في الخدمة.

نزهة: أتتذكر الحكيم بالأعشاب الذي أتى لهنا وعالج إيهاب سابقًا.

براجا: الأب «باتول»، بالطبع، لقد أتى عندما طلبتُ منه ذلك، هو عادة لا يفعل ذلك.

إيهاب: أحتاج لأن أراه!

براجا: سيد إيهاب، الأب «باتول» ذو شأن هنا، هو لا يعمل لدي، لو لديك اطلبه أن يأتي.

إيهاب: لم أقصد ذلك إطلاقًا، أريد أن أذهب لرؤيته في مكانه أو منزله، أرجوك.

براجا: هذا طلب صعب، لا أستطيع ترك العمل هنا والذهاب معك.

نزهة: متى تنتهي مناوبتك؟

براجا: فقط عدة ساعات ويمكنني أخذكم إليه.

إيهاب: سننتظر حتى تنتهي من مناوبتك.

نزهة: براجا، أنت تعلم اللغة النيبالية القديمة، هناك جملة معينة، يمكنك مساعدتنا في ترجمتها، لقد لاحظتُ أنك تفهم لغة الحكيم وهي لغة قديمة كما عرفت.

براجا: بالطبع، ما هي؟

إيهاب: سأقولها لك ولكن أرجوك، من الواضح أن هذه اللغة تصيب الآخرين بالاشمئزاز مني، عندما أقولها لك لا تتركني وترحل!

أخرج إيهاب بضع «روبيات» وأعطاها لموظف الريسبشن «براجا» كحسن نية، وتعويضه عن المشوار الذي سيذهبون له إلى الحكيم «باتول»، وكسر الثلج في اي شيء قادم؛ فدائمًا وأبدًا النقود هي من تسهل معظم الأشياء الصعبة، وليست مجملها بالطبع.

إيهاب: الجملة هي «كالا بكالا سيجما فوت».

أجحظت عينا «براجا» واستغرب من الجملة كثيرًا، وغيّرت ملامح وجهه كثيرًا، وبدأ في ترتيب الأوراق أمامه متجاهلًا وجودهما أمامه، ظن أنه يفعل شيئًا هامًا، ولكن الأمر ليس كما يبدو، هو بالفعل متجاهل تواجدهما.

نزهة: ماذا هناك؟! لقد سألناك عن شيء ما، لماذا التجاهل؟!

براجا: آسف، ولكني مشغول قليلًا، يمكنكم الانتظار فقط عدة ساعات وسنذهب معًا إلى الحكيم، ليس لديّ ما أعلّق عليه أو أقوله.

إيهاب: لا لديك؛ نظراتك تغيرت، أرجوك ساعدنا.

براجا: ليس لدي ما أعلق عليه، وها هي أموالك خذها.

نزهة: لا نريدها، هي لك، ولكن أرجوك فقط ساعدنا، نحن تائهون قليلًا ولا يدَ تساعدنا، ولقد رأيتُ منك أنك سيد نبيل يمكنه مساعدتنا ودلنا على الخير منذ أن أتيت بالحكيم.

براجا: يا سيدتي، أنا حقيقة أرغب في مساعدتكما، ولكن هناك أشياء فوق إدراكي كتلك، ولكن أرجوك لا تردّد هذه الجملة ثانيًا.

إيهاب: إذا لم تساعدني سأذهب في منتصف «كاتموندو» وأصرخ بها، فأنا أريد أن أفهم، ساعدني.

براجا: اهدأ قليلًا، سأساعدكما، ولكن اهدأ قليلًا، أعدك، فقط يمكنكما التجول قليلًا حتى أنهي مناوبتي وسأساعدكما.

نزهة: ونحن نضع ثقتنا الكاملة، سننتظر.

براجا: آه، كدتُ أنسى، جاءت مكالمة من شخص يدعى «مالك» يدّعِي أنه شقيقك يريد أن يحدثك في أمر هام.

إيهاب: مالك! كيف؟ مالك اتصل؟ نيبال؟ ياللمصيبة.

تركاه وذهبا لخارج الهوستيل، وكان إيهاب شاردًا مهمومًا قليلًا؛ مما أثار تساؤلات نزهة، فمَن يكون مالك؟! يقول موظف الريسبشن أنه أخوه، ولكن صدمة إيهاب كبيرة.

فكون أن مالك اتصل هذا يعني أنه عرف أنه يكذب وأنه ليس بالإمارات، وكيف وصل إلى مكان وهاتف الهوستيل.

كما أن ما دام أخوه، الذي لا يعنيه شيء في الحياة إلا نفسه، قد اتصل فمعناه أن الوالد عرف وجعله يتصل.

هذا ما كان ينقصه لتضاف لقائمة مشاكله، ماذا سيقول لهما؟! وكيف سيشرح الأمر؟!

الأمر له كان بسيطًا، كان سيرجع القاهرة وكأن شيئًا لم يكن، ذهب إلى الإمارات وتدرّب وبحث عن عمل ولم يجد عملًا مناسبًا، فرجع إلى بلده، هذا كل ما في الأمر.

ولكن الآن الحسابات كلها تغيرت، لماذا ذهبتَ إلى نيبال؟ لماذا كذبت؟

وكثير كثير من التساؤلات هو في غنى عنها، على الأقل الآن، الأمور كل ما تهدأ تصعب أكثر فأكثر.

كل ذلك نزهة تنظر إلى وجه إيهاب وكأنها تقرأ ماذا يدور في ذهنه، ولكنها تنتظر منه أن يبوح بالأمر وتستفهم منه على كل شيء.

هما مع بعضهما البعض في كل شيء، ولا مجال لترك أسرار أو غموض؛ فالغموض يقتل الحب ويضع الحاجز تلو الآخر حتى تصبح العلاقة أشبه بالجدار العازل بين الكيان الصهيوني وقطاع غزة.

هي لا تريد ذلك، فكلاهما بدأ شيء جميل ولا بد أن يبقى جميلًا بدون شوائب تعكر صفو علاقتهما.

نزهة: توقّف عن الصمت والمشي أرجوك، أريد أن أفهم كل شيء، مالك من؟ أهذا أخاك؟ ماذا تخبّئ أنا لا أفهم.

إيهاب: سأشرح لكِ كل شيء لاحقًا.

نزهة: لا الآن، لا تفعل مثل براجا هذا، أنا لا أريد أن أعيش في أسرار، أريد أن أعرف كل شيء الآن.

إيهاب: هذا ليس المكان المناسب.

تركته نزهة فاعتقد إيهاب أنها تركته غاضبة، ولكنها ذهبت إلى أحد المحليين وظلت تتحدث معه قليلًا ورجعت ثانية ويبدو على وجهه علامات النصر.

إيهاب: ماذا هنالك؟

نزهة: لقد سألتُ إحدى النيباليات عن مكان قريب هادئ للذهاب إليه، وشاورت لي على معبد قريب يطلق عليه «سويانبو»، أو معبد القردة، لقد قرأتُ عنه كثيرًا، هيا نذهب إلى هناك نضيع به ساعات، ريثما ينتهي براجا من مناوبته.

انصاع لها إيهاب ولم يجادلها كثيرًا، وبالفعل تحركا نحو المعبد والذي كان كبيرًا وشاهقًا، رآه إيهاب وهُم في الطريق من المطار إلى الهوستيل.

ولكنه لم يكن ضمن برنامج الرحلة، ولكن الصدفة وحدها جعلته من برنامج الرحلة، كان معبدًا بوذيًا في مدخله توجد خمسة تماثيل لـ «غوتاما بوذا» مؤسس ديانة البوذية، أو ما يُحب أن يطلق عليه فلسفة البوذية.

كما توجد مجموعة من الأجراس القديمة قبل الدخول إلى المعبد، وما يوجد به من درجات سلم طويلة، ودهشة إيهاب من الأمر دفع نزهة لأَن تشرح ما قرأته عن المعبد لإيهاب.

نزهة: نحن داخلون الآن إلى معبد «سويانبو»، أو ما تعني بالنيبالية «مشتق من الأرض»؛ لانهم يؤمنون بأن هذا المعبد قد ظهر من باطن الأرض، علينا أن نطرق الأجراس عند الصعود، هذا من طقوس المعبد، سنصعد الآن ٣٦٥ درجة للأعلى، وهناك سنجلس قليلًا لتشرح لي الأمر، هذا المعبد ليس للبوذيين فقط، الهندوس يأتون هنا للعبادة والتأمل، تسمّى معبد القردة؛ لأن القردة تسكن هنا وتتواجد في كل مكان به، حتى أنهم أحيانًا يرونها تتعبد هناك، صعود الـ ٣٦٥ درجة هي عبادة في حد ذاتها وليست مهمة للقيام بها، كل درجة لها عبادتها، هيا.. سنصعد إلى الأعلى عند تمثال «غوتاما بوذا» لقد بنوا له تمثالًا من الذهب، سنجلس بعيدًا فوق ونتحدث.

ظلا يصعدان كلاهما ٣٦٥ درجة ممسكين يدا بعضهما البعض، متجاهلين الزمان والمكان، أعطاهم إحساسًا بأنهم لم يبذلا مجهودًا في الصعود إلى أعلى.

وبعد ما يقرب من نصف ساعة صعود، وصلا أخيرًا إلى قمة المعبد حيث تمثال بوذا الذهبي.

جلسا في ركن عند الأشجار المملوء بالقردة، والقردة ما دمت لا تأتي بجوارها فإنها ستتركك في حال سبيلك، إلا في حالة واحدة؛ أن تكون تأكل؛ ستشاركك بلا شك في طعامك.

نزهة: ها، ماذا هنالك؟

إيهاب: حبيبتي، أنا كذبتُ على أهلي عندما نويتُ السفر هنا إلى نيبال، لقد قلتُ لأبي إني ذاهب للتدريب في إحدى شركات الإمارات والبحث عن عمل هنالك.

نزهة: ولماذا ذلك؟

إيهاب: الوضع أصبح صعبًا كثيرًا بعد وفاة أخي محمد، أخي الأكبر في حادث سير، فأصبح الوالد يخاف عليّ وعلى أخي مالك كثيرًا، أخي مالك كان المدلّل للعائلة يسافر كثيرًا، دائم السفر؛ فتغيّر الأمر، أصبح مالك هو المسئول عن عمل العائلة، وكان الجو في العائلة خانقًا؛ فرأيت رحلة إلى نيبال فتحمست للذهاب، ولكن كان من المستحيل أن يوافق والدي على الأمر، فكرتُ كثيرًا قبل أن أجد حلًا يرضيه؛ ألا هو الذهاب للإمارات، فأهلها طيبون ويحبون المصريين كثيرًا، زرع هذا الحب الشيخ زايد رحمة الله عليه؛ فأخذت قرارًا للذهاب، رحلت على هذا الأمر.

نزهة: لا أرى مشكلة حتى الآن؟

إيهاب: مالك اتصل بالهوستيل ليسأل عني، معناه أنهم عرفوا أني لم أذهب للإمارات كما قلت، وأنهم كشفوا أمر «نيبال»، ولن أنتهي من المشاكل معهم، والدي كبير في السن ولن يحتمل القلق عليّ والتفكير.

نزهة: إيهاب، اتصل بأخيك وفهّمه الأمر حتى لا يقلقوا أكثر، أنت كبير بما يكفي لاتخاذ قرارات مناسبة في حياتك؛ فلا تجعل الأمر كأنك طفل صغير تحت وصايتهم.

إيهاب: نزهة حبيبتي، مهما كبرتُ سأظل الأخ الأصغر والابن الصغير في نظرهم، وبعد حادثة محمد أصبح والدي يخاف علينا كثيرًا، حتى أنه سحب سياراتنا وجعل هناك سيارة بسائق لنا، الأمر معقدٌ لن تفهميه بسهولة.

نزهة: وماذا ستفعل الآن؟

إيهاب: لا أعرف، ربما سأتصل به لاحقًا، ولكن بعد أن نقابل الحكيم، أو ربما قبلها، لا أعرف.

نزهة: أنا أعرف!

إيهاب: تعرفين ماذا؟

نزهة: ألم تعلم أني يمكنني الغناء، كنت أغني في الكوراس المدرسي، سأغني لك...

”ومن العمل.. بيهل فجر الأمل

يعلا البناء.. نملأ الليالي غنا

نلقي هلال الحلم.. بدري اكتمل.

وسنة بسنة.. نقطف زهور العين.

يا قلبي ولا تبكي.. على اللي راح

زمن الجراح راح

كل اللي جاي أفراح ورا أفراح

دور يا زمن وخدنا في دايرتك“.

هكذا فاجأت إيهاب وغنت نزهة له، كانت تريده أن يخرج من يأسه ويجمع رباط نفسه ويعود ليقف ثانية؛ ليواجه كل التحديات، كانت تريده قويًا؛ فالمرأة تحب الرجل القوي الذي تستطيع أن تسند عليه، كما الرجل الذي يحب المرأة التي تكون في ظهره وتقف بجواره.

هكذا نزهة رأت والدتها، فرغم أن والدها انفصل عن والدتها وهي في سن صغيرة، إلا أن وقوف أمها بجوار والدها في أحلك لحظات حياته، جعل والدها رغم الانفصال يحترمها في نموذج يحتذى به، قليل في عالمنا العربي.

غالبًا ما تنتهي الزيجات في العالم العربي بالسباب والمشاكل وغيرها، ولكن الوضع هنا مختلف.

انتهت زيجة، ولكن بقي أولاد بينهما دفعهما للاحترام للآخر مما ربّى في نفوس الصغار هذه الصفة.

هي تريده كذلك قويًا يستطيع التغلب على أي شيء؛ لتكتمل الحكمة من وراء سفره إلى نيبال، والتي أدركها الآن إيهاب بأن معه من يستطيع أن يكمل حياته بدن خوف، ملهمته نزهة.

القردة وراءهما تثرثر كعادتها، استمعت لغناء نزهة وظلت صامتة، ولكنها أعجبت بغنائها، قد لا يفهمون ما غنّت ولكنهم أحبوها لدرجة جعلتهم يقتربون منها ويقفزون على ظهرها.

قام إيهاب وصور المشهد وهي تضحك والقردة تلتف حولها.

(٢١)

أنهى كلاهما نزهة وإيهاب حديثهما ورجعا ثانيةً، وكان الجو مائلًا للظلام؛ فقد اقتربت مناوبة براجا من الانتهاء، وبالفعل رجعا وجدا براجا يخرج من الهوستيل ومعه مجموعة أوراق في يده مرتديًا الجاكت ويستعد للرحيل.

لحقاه قبل أن يمشي بعيدًا، لماذا يتهرّب براجا منهما؟! لماذا لا يريد أن يساعد؟ ما مصدر الخطورة في الأمر؟! كلها تساؤلات تظهر في لحظات وتمر مرور الكرام، لماذا كل ذلك؟! ربّما... بل أكيد يعلم شيئًا ولا يريد أن يتحدث فيه، أو ربما يتورط فيه.

لحقاه، وعندما أدركاه فهِمَ أنه لا مناص من مساعدتهما؛ فهما الآن كالعسل عندما يلتصق بشيء ما.

إيهاب: لماذا تتهرب منا براجا؟! نحن فقط نريد مساعدتك، فقط أرشدنا إلى مكان الحكيم ثم امضي في حال سبيلك، لن نورّطك في شيء ما قد يضرك، أو فقط أرشدنا من هنا عن مكانه وسنذهب إليه بنفسنا، الشعب هنا يساعد الغريب، ولكنك لستَ من هذا الشعب بلا أدنى شك.

براجا: أرجوك سيد إيهاب لا تظلمني، الموضوع خطير جدًا وشائك، وله أبعاد كبيرة، أنت لا تتصورها ولا يمكنك تخيلها، أتعتقد أن الأمر بهذه السهولة، أن أرشدك عن مكانه من هنا؟! وعندما تصلا هناك ألن يسألوا كيف عرفتُم بمكانه؟ مَن ساعدكم؟! أرجوكم إن لدي أطفالًا أريد تربيتهم، وحتى إن ذهبتم بمفردكم من سيتَرحِم لكما، هم لا يعرفون غير النيبالية، وأنتما لا تعرفان النيبالية!

نزهة: براجا، سنجده حتى لو تطلّب الأمر البحث منزلًا منزلًا نيباليًا، أو نسأل عنه في كل معبد ها هنا، أكيد رجل حكيم في سنه معروف لدى القليل وسنعرفه، فقط اسعفنا بالوقت.

ظل براجا يلتف يمينًا ويسارًا كأنما هناك من يشاهده ويراقبه؛ فأحسّ أن وقوفهما هكذا غير مأمون النتائج، وعليهم أن يتفرقوا.

براجا: أنا آسف، أنا لا أستطيع مساعدتكما، أعتذر منكما، اعفوني يجب أن أرحل بعيدًا الآن، هكذا الوقفة معًا فيه ضرر لكما ولي، أرجوكما اعفاني، أعتذر منكما!

تركهما بهذه البساطة ورحل بعيدًا، رحل بعيدًا وركب توك توك ورحل بعيدًا، كأنما تركهما يغرقان، لماذا يفعل ذلك؟!

ولكن نزهة لم ترمي المنديل بعد، بسرعة جذبت إيهاب إلى أقرب توك توك وركبا معًا مشهري للسائق روبيات كثيرة حتى يتّبع التوك توك الذي يستقله براجا؛ فكان المشهد كما في أفلام جيمس بوند، شارع ضيق وراء شارع، ثم مدخل ريفي من ثم إلى بين زراعات، ثم إلى قرية يبدو عليها من القرى قليلة السكان، تشبه كثيرًا قرى مصر في الأرياف، كل تلك المطاردة من بعيد لبعيد، وإن اقتربا لن يكون الأمر ملحوظًا؛ لأن التوك توك مظلم الظهر.

إيهاب: ماذا تفعلين؟! ربما هو ذاهب إلى بيته!

نزهة: لا.. هو ذاهب إلى الحكيم «باتول»، كان خائفًا من شيء ما ويريد اللحاق بذلك الحكيم ليحكي له كل شيء، قرأتُ ذلك في عينيه، وحتى إن لم يكن ذاهبًا إليه وذاهب إلى بيته كما قلت، اترك لي الأمر، أنا امرأة سأحدث ضجيجًا ما في منزله ولن أتركه حتى يصل بنا إلى الحكيم.

إيهاب: أنتِ مجنونة! ألم يقل لكِ أحد ذلك من قبل؟

نزهة: الجنون هو وجودي معك، وما أحلاه من جنون!

ظل التوك توك الذي يقِل نزهة وإيهاب يلاحق التوك توك الذي يستقله براجا حتى توقف أمام منزل متوسط الحجم به حظيرة مليئة بالمواشي (الجاموس

الأبيض)، وعدد من الكلاب للحراسة، والقردة هنا وهناك ومكتوب يافطة أمامه باللغة النيبالية الشبيهة بالهندية.

نزل مسرعًا براجا دالفًا إلى المنزل، فتح البوابة ودخل إلى الداخل، طرق الباب عدة مرات ملتفتًا يمينًا ويسارًا، حتى فتحت له ابنة الحكيم، كانت نزهة على حق؛ فهذا هو منزل الحكيم.

توقفا قليلًا وترددا في الدخول، كانت نزهة شغوفة للدخول أكثر من إيهاب، ما شيء ما رعب قلب إيهاب وجعله يتراجع عن الدخول إلى المنزل.

نزهة: ماذا هنالك إيهاب؟! دعنا نلحق به إلى الداخل، هذا منزل الحكيم بلا شك، هذه ابنته دعنا نلحق بهم.

إيهاب: نزهة انظري حولك، نحن في مكان لو صرخنا به في ميتال فلن يسمعنا أحد، ماذا لو كان هناك شر بالداخل، اتركيني الآن واذهبي وارجعي إلى الهوستيل، اثنان فئران في قفص لن يفيدا بعضهما البعض!

نزهة: فات الأوان لهذا الأمر، حتى وإن تراجعت انظر بنفسك حولنا، إننا في طريق مقطوع لا حياة فيه، لن يكون مأمونًا لي أن أرجع وحيدة في هذا الوقت من الليل، يجب ان أكون معك، ثاني شيء الحكيم عمره تخطى ١٢٠ عام، وابنته قاربت الـ٦٠ من عمرها، ماذا عساهم أن يفعلا؟

إيهاب: خذي هذه الورقة إنها بها هاتف مالك في مصر، إذا حدث لي أي شيء اتصلي عليه فورًا، خذيها هيا، إذا حدث لي أي شيء اجري في هذا الاتجاه، ولا تنظري وراءك حتى تصلين لأي مواصلة، ومنها المجموعة أو الشرطة.

نزهة: لا إيهاب، لن أتركك، سآخذ الورقة لكي يطمئن قلبك، ولكن لن أتركك؛ فمصيرنا أصبح واحدًا الآن، هيا بنا.

تحركا كلاهما بخطوات متثاقلة نحو بوابة المنزل الخشبية القديمة، ودخلا إلى بهو البيت منه إلى باب البيت الخشبي القديم، غير آبهين بنباح الكلاب المخيف عليهما، وقف إيهاب لحظة قبل الطرق على الباب.

إيهاب: لاحظي شيئًا؛ إن الكلاب لم تنبح على «براجا» عند الدخول؛ مما يعني أنه كثيرًا ما يتردد هنا، هناك شيء ما لا أفهمه.

طرق إيهاب الباب؛ ففتحت لهما ابنة الحكيم «باتول» التي أبدت استغرابها من تواجدهما أمام منزل أبيها.

كيف عرفا المكان؟! ومن حلمها نظرت خارجًا؛ للتأكد بأنهما فقط الموجودين ولا يتبعهما أحد، ثم دعتهما للدخول إلى الداخل.

كان منزلًا بسيطًا لا يوجد به أي شيء مميز، مقاعد خشبية قديمة تشبه بيوت الأرياف، لا حياة فيها؛ فلا يوجد تلفاز أو راديو أو مبرد، فقط مقاعد وصناديق خشبية يوجد كلام على كلٍ منها بالنيبالية.

عدة صور لأشخاص نيباليين عجائز، لا تعرف إذا كانوا أقرباء أو أنبياء لعقدة ما، وقرد محنط على ترابيزة يبدو أنه قرد صديق لهم قد مات، وجرى تحنيطه إكرامًا له.

لم يتحدث أيّ منهما، فقط عينهما تدور يمينًا ويسارًا كمصورين محترفين لكل أرجاء البهو في المنزل، كذلك تتحدث ابنة الحكيم، بل قادتهما نحو دهاليز المنزل.

"لن يواجها أسوء مما واجها عند سفح الجبل!»

هكذا ردّدا في مسامعهما الداخلية آملين في بعض الشجاعة الذاتية.

(٢٢)

أدخلتهما ابنة الحكيم إلى غرفة كبيرة كان يجلس في منتصفها الحكيم «باتول»، ويجلس في أحد أركانها «براجا» الذي أجحظت عيناه عندما رأى نزهة وإيهاب يدخلان إلى الغرفة التي كانت مليئة بالدخان تشبه غرف المعالجين الروحانيين، ولا تشبه غرفة حكيم بالأعشاب.

وقف براجا وجلس يتمتم ببضع كلمات نيبالية غير مفهومة، وكأنما يقول بأنه لم يرشدهما إلى المكان هنا، وأنهما قد لحقاه، فالأمر مفهوم لا يحتاج إلى ترجمة، ولكنه سكت وهدأ بمجرد أن شاور له الحكيم بالهدوء.

توقف كأنما هو جهاز مذياع وداس على زر الإيقاف، أشار لهما بالجلوس، وهنا أجحظت عينا إيهاب نحو صورة معلقة خلف الحكيم وعليها ورد، وهنا أثار فضول نزهة؛ فنظرت إلى حيث ينظر إيهاب.

إنها صورة شخص ما حولها ورود برتقالية، وتحتها ترابيزة عليها مبخرة كبيرة من الذهب؛ فاقتربت قليلًا نحوها لأن نظرها ليس نافذًا.

إنه هو العجوز الذي رسمه إيهاب، إنها صورته، فهمَت لمَ جحظت عينا إيهاب الذي ظل متسمّرًا أمام الصورة لا ينطق بشيء، فقط ينظر لها وفي داخله تساؤلات عديدة؛ مَن ذلك العجوز؟ وكيف تكون صورته في الخلفية عند الحكيم؟! هذا يفسر لمَ استغرب الرجل الحكيم عندما رأى الصورة التي رسمها إيهاب، هكذا كل شيء يتضح.

فهذا الرجل يعرفه جيدًا الحكيم، واستغرب عندما رأى الصورة عند إيهاب رسمها إيهاب.

ولكن لماذا هذه الصورة خلف هذا الرجل؟! تبدو عليها القدسية، إلا إذا كانت تكون ضمن الصور في الخارج، بل هي في غرفته، وهي الوحيدة على الحائط وعليها ورود وتحتها مبخرة ذهبية.

تعني أن هذا العجوز الذي يظهر له في كل مكان له قدسية خاصة، ولكن أين هو؟! ولماذا يظهر له في كل مكان؟! وما دخل إيهاب بالأمر؟!

فإيهاب لم يدنّس قبرًا من قبل، أو يتبول على أحد مقابر الكهنة، أو يلتهم لحم قرد على الغذاء! لماذا يظهر لإيهاب بالذات؟!

تساؤلات قد تصيب إيهاب بالجنون المحتم، ما لم يلحقه أحدهم بأحد الإجابات فهو لن يترك المكان قبل أن يحصل على كل الإجابات.

إيهاب: هذا هو العجوز! هذا الرجل الذي يلاحقني أينما ذهبت، هذا هو الرجل الذي أخرج من حقيبته القماشية صورًا لأهلي في مصر وقلادة تخص حبيبتي السابقة، وأخرج القلادة الذهبية التي تعود لأمي، هذا هو الرجل نزهة الذي جميعكم شكيتم بجنوني بأني أختلق القصة، مَن هو هذا الرجل أيها الحكيم؟ جاوبني أرجوك.

ترجم له براجا مَن هذا الرجل الذي جعلني كالمجنون؟! كنت ليس معي المال الذي يغريكم على ذلك، ولكن لو كنتم عصابة كيف لهذه الأشياء إن حصلتم عليها، بحق الإله أو أي إله تتبعونه، أحد منكم يجيبني قبل أن أصاب بالجنون!

براجا: سيد إيهاب، الحكيم يطلب منك الهدوء والجلوس، هذا مكان مقدس ولا يجوز رفع الأصوات فيه.

إيهاب: إذًا جاوبوني ولا تتركوني كذلك.

براجا: لن يتحدث قبل أن تجلس وتهدأ.

أجلسته نزهة؛ فالثورة والصوت المرتفع لن يحل الأمر، عليه بالجلوس وتقبل الأمر حتى يستفهما من الحكيم عن الأمر، والذي ما إن اطمئن على هدوء إيهاب حتى بدأ الحديث بترجمة من براجا.

براجا: إنه الإله «فوتيسبير»، أو «فوت»، إنه جد الحكيم «بتول»، هو إله الموت هنا، يظهر فقط للشخص عندما يقترب الشخص من الموت، يأخذ روحه إلى طريق الموت ذات المراحل الأربعة.

براجا: هو الإله المقدس ذو الأقداس، يُخشى ترديد اسمه؛ لأنه يسبب الرجفة لأهل البلد، «كالا بكالا سيجما فوت»، «الموت أتى لك من فوت»، هذا معنى الجملة، أنت محظوظ؛ فالإله فوت يحبك، حذّرك من الموت قبلها بعدة أيام، أتى لك بنفسه وظهر لك.

إيهاب: أتعني...؟

براجا: نعم، الإله فوت ميّت منذ ما يقرب من ١٢٠ سنة؛ فهو لم يمت بل هو موجود قداسة روحه حولنا، لا يخرج من سكنه الأسفل إلا ليأخذ روح أشخاص معيّنين، كان يزور المبيت الذي رأيته ثاني مرة، وقرر أن يحدّثك ويحذّرك بأنه سيأخذ روحك إلى الطريق ذات المراحل الربعة ما أحظظك! والآن عليك أن تشكره وتبدي له الامتنان على ذلك؛ فأنت ميت لا محالة، اذهب إليه ستجد خواتم بدلة بجوار المبخرة، قبّلها وادعو له بالشكر والامتنان.

نزهة: ما هذا الخرف؟ أنا لا افهم شيئًا، إله ونشكره؛ لأنه سيقتله، ما هذا الجنون؟. أتمزحون معنا، لا تصدقهم إيهاب، أنت مؤمن بالله وتعلم أن كل ذلك خرف، وما دورك في الأمر براجا؟! أنا لا أفهم شيئًا.

براجا: لن أترجم ما قلتيه حتى لا يغضب الحكيم، فيغضب الإله الأقدس «فوت» فيحل بنا جميعًا العذاب، أنا من مريدي الإله الأقدس «فوت»، وزوج السيدة ابنة الحكيم، سمعت ما تحكوه أنتِ والسيد إيهاب، وأنا أعرف القليل من العربية بحكم عملي الهوستيل من ثلاث سنوات، نستقبل عرب دومًا؛ فاستدعيت

الحكيم ليراك بنفسه، وكان شغوفًا لرؤيتك؛ لأن الإله «فوت» قليل ما يظهر للأحياء، على الأقل قبل موتهم بفترة، ولم يصدقني حتى رأى الصورة المرسومة.

براجا: أما بخصوص الأشياء فالإله الأقدس «فوت» له مائة يد يمكنه الوصول لكل شيء، نحن لسنا بعصابة ولا نريد منكما شيئًا، أنتم من أتيتم ورائي إلى هنا، وعندما قلتَ لي الجملة المقدسة كان لا يمكن مساعدتكما؛ فرغبتُ في أن أماطلكم بضعة أيام حتى يأتي الإله الأقدس «فوت» ويقتلع روحك من عينيك.

إيهاب: لذلك عندما أحرقتم جثة الميت كنتم تضعون على عينيه عصبة؟ الأن فهمت، ولكن لماذا أنا؟ ماذا فعلتُ به؟ أنا مجرد زائر وضيف عدة أيام وأرحل في حال سبيلي.

براجا: لم تفعل أي شيء! فقط هو اختارك، وكما وصفك الحكيم والمعلم والنبي المقدس «باتول» بأنك محظوظ.

إيهاب: أنا لا أريد أن أموت وليس بهذه الطريقة، أنا لم أفعل شيئًا، ماذا لو كنت لم آتي لنيبال؟!

نزهة: ألا زلتَ تصدق هذا الخرف؟ هذا فيلم هندي كبير من أفلام هوليوود، الآن عرفت لماذا أفلام وسط آسيا ناجحة؛ لأنها تجد خرافات تجد دائمًا من يصدقها!

إيهاب: منذ عدة أيام أنتِ حكيتِ لي عن جدتك وما رأته في الحج..

نزهة: نعم ملائكة في محراب الله عز وجل وبإذنه، ملائكة إيهاب وليس إله ما عليه قردة تحبسه، أنت متعلم، إنهم يلعبون بمخك وتفكيرك، لا تصدق هذا الخرف!

إيهاب: وماذا إن كان حقيقة؟ أمستعدة للرهان بحياتي عليه؟

نزهة:...

إيهاب: سكتّي نزهة، الحديث سهل، ولكن ما رأيته بعيني يجعلني أصدق كل كلمة من هذا الرجل، لقد ظهر لي وحدّثني وجهًا لوجه.

براجا: لا داعي لنقاشات جانبية بينكما، الأمر حدث والورق كُتب، وعليك

الامتنان والشكر لقداسة الإله «فوت».

إيهاب: براجا ساعدني، كيف أحمي نفسي من الموت، أكيد هناك طريقة ما، إن عائلتي تعتمد عليّ، مات أخي الأكبر منذ فترة، ووالدي كبير في السن ومريض، ووفاتي بهذه الطريقة تعني أنه سيموت، لن يرضِيَ «فوت» هذا أن يقبض روحين وليس روحًا واحدًا.

براجا: دعني أترجم للحكيم والنبي المقدس «باتول»... إنه يقول لك بأن هناك طريقة ما، ولكنها مستحيلة.

إيهاب: سأفعلها مهما كانت، قل لي عليها.

نزهة: يا مثبّت العقل والدين يا رب!

براجا: يقول لك عليك أن تتبع الطريق ذات المراحل الأربعة قبل أن ينتهي اليومان الباقيان في عمرك، وبذلك تكون قد مررت بالطريق، وربما فقط... ربما يشعر الإله المقدس «فوت» بجديتك وشكرك وامتنانك ويتركك حال سبيلك.

إيهاب: الطريق ذات المراحل الأربعة! وما يكون هذا الطريق؟!

براجا: إنها مهمات معينة سيطلبها منك النبي والحكيم «باتول» تقوم بها، وإذا اجتزتها سيفكر الإله المقدس «فوت» في الأمر.

نزهة: إيهاب، دعنا نرحل من هنا، فالمكان يثير فيّ القشعريرة، دعنا نذهب من هنا ستكون بخير، دعنا نرحل من هذه البلد كلها، ارجع إلى مصر، ولو أن عمرك كُتِب عليه أن يموت فتكون وسط أهلك، الأعمار بيد الله، لا تصدقهم، لا يأتي من الخبيث طيب، كل شيء هنا يدعو للخبث والخبائث، توجد قردة محنطة.

إيهاب: نزهة حبيبتي، ارجعي للهوستيل، يجب أن تبتعدي عن هنا، لا يجب أن تبقِي هنا ثانية أخرى.

نزهة: لا لن أتركك لذلك الجنون، أنا هنا يا «فوت»، خذ روحي من عينِي إذا كنت تستطيع، ها هيا... لا لن تستطيع كل ذلك خرف إيهاب، لا تصدقه.

إيهاب: نزهة غادري المكان، أنا لا أحبك، فقط كنت أتسلّى وأضيع وقتي في هذه البلد المملة، لا أحبك، افهمي الأمر؛ لقد كنتِ مجرد تسلية، كنت أريد فقط الوصول للفراش معك.

نزهة: ماذا تقول؟! أنا لا أصدقك، لا أصدقك.

إيهاب: نعم صدقيني، لقد وجدتُك جميلة ووحدكِ هنا، وأنا خارج من قصة حب فاشلة في مصر وأنتِ أيضًا، لعبتُ عليكِ ربما أنالك لي؛ فأنتِ بديعة الجمال، وكان الوضع سيكون أجمل ونحن في الفراش سويًا.

لم تتمالك نفسها من البكاء، خرجت للخارج فورًا تجري؛ فقد طعنها، لقد كانت مكسورة منذ قصة الحب التي مرّت بها حتى وجدت إيهاب وأحبته، والمرأة عندما تحب تختلف عن الرجل.

فالرجل قلبه يمكن أن يسع الجميع، يمكنه أن يحب هذه وهذه وتلك، ويمكنه القيام بذلك في نفس الوقت، ولكن المرأة ما دامت أحبّت فإنها توهب قلبها لواحد فقط.

تركته في قلبها جرح جائر من إيهاب، لا تصدق ما قاله، لقد كانت في حياته مجرد تسلية! لا.. لا تصدقه.

هناك شيء ما خاطئ! لا يمكن لمن ذهب وراءها عندما سمع صوتها ليرى ما بها أن يكون يتسلى، لا يمكن لمن دافع مقابل حياته أمام نمر جائع في جبل أن يكون يتسلى.

لا... لا يمكن أن تصدق ذلك الأمر ابدًا.

هناك شيء ما... أو هكذا تعتقد!

لا يمكن لمن صعد معها ٣٦٥ درج فوق درج ممسكًا يديها أن يفكر بهذه الطريقة، هما بالفعل قابل بعضهما البعض أغراب، لم يعرفا بعضهما أو أي شيء عن الآخر، ولكنهما وجدا شيئًا ما في الآخر كأنهما عرفا بعضهما منذ ولادتهما، لا لن تصدق ما قال.

هو يريدها فقط أن ترحل، كان عليها أن ترحل من هذا المكان، تواجدها غير مأمون الجوانب والعواقب، كان عليها الرحيل بعيدًا عن هذه الأجواء الملوثة، إيهاب يعرف أنه سيسير في طريق نحس، وهذا المكان لا يتواجد فيه الملائكة؛ لذلك لا يجب أن تتواجد فيه نزهة.

رحلت مسرعة نزهة نحو المجهول، كانت تسير نحو الطريق السريع غير آبهة بنباح الكلاب وأسراب القرود، وتقسم في نفسها أن لو نمرًا آسيويًا ظهر لها ثانية ستمر أمامه وتلكمه وترحل.

بعد ما رأت وسمعت فلن تخاف شيئًا بعد الآن؛ فهي الآن تشبه السائق الجديد الذي تعوّد على القيادة في سرعات منخفضة، ولكن عندما تجرأ في طريق خالٍ وجرّب سرعة جنونية فلن يعود ثانية للقيادة في سرعات منخفضة!

هكذا الطبيعة البشرية.

نزهة الآتية من تونس غير نزهة الآن، ستتصرف بالتأكيد، ويجب أن تفعل شيئًا ما لإيهاب، حتى لو كان آخر شيء تفعله، هي تدين له بذلك!

(٢٣)

رحلت نزهة ونجح إيهاب فيما كان ينويه، كان يرى الخطر في كل مكان هنا؛ فكل ما يريده وقتها أن يجعلها ترحل بعيدًا دون أن تلفت الشكوك نحوهما، الآن اختلق قصة وجعل الأمر أن هناك صقورًا وحمائم في الجلسة، فكان عليها أن ترحل ليعيد كامل انتباهه نحو الحكيم الذي يدّعي النبوة والإله المقدس المحاط بالقردة، وذلك المريد «براجا».

هو الآن معهم في رهان على حياته، رهان للطريق ذات المراحل الأربعة في انتظار أن يبدعوا مهمات توَكَّل إليه؛ ليخرج من ذلك المأزق.

براجا: الحكيم النبي «باتول» يتساءل لماذا رحلَت رفيقتك عنك؟ وما سر هذه الثورة منها، أهناك شيء ما يجب أن يعرفه؟!

إيهاب: لا، هي فقط لا تصدق الأمر؛ فطلبتُ منها أن تغادر المكان، أنا لا أريدها بجواري، هي فقط تعيقني.

براجا: هي لا تصدق، وأنت؟

إيهاب: كيف لا أصدق الأمر؟ لو حُكيَ لي من ألف شخص هنا في نيبال أو أي مكان في العالم أو ربما ألف رواية فلن أصدّقها، ولكني رأيتها بعينيّ، فكيف لا أصدقها؟!

براجا: أحب أن ألفت نظرك بأن إذا كان هناك ألاعيب من جانبكما فلن تفيد كثيرًا، الشرطة إذا جِئتَ لهم فلن يفعلوا شيئًا، الجميع يخاف الإله المقدس

«فوت»، هو مسيطر ولا يخشى أحدًا، وكذلك النبي «باتول»، هو ملموس ببركة رفقة الإله المقدس «فوت»؛ لن يساعدكما أحد.

إيهاب: لا شرطة أو غيرها، إنها فقط رحلَت، ستجتمع مع المجموعة العائلية من الجبل وسيرحلون عن هذه البلاد في وقت قريب وينتهي الأمر لهم على الأقل، الأمر يتوقف عليّ الآن!

براجا: النبي الحكيم «باتول» يدعوك للتمشي قليلًا للخارج، لا تخف، خلف بيت النبوءة؛ ليشرح لك الطريق ذات المراحل الأربعة، وما يجب عليك فعله لتنجو بنفسك، واضح أن الحكيم أحبك، الجميع يحبّك هنا إيهاب.

إيهاب: أتساءل براجا، الأمر ممكن أن ينتهي بدفع مال؟ أنا يمكن أن أدبّر لك مبلغًا ماليًا ونضعه قربانًا للإله المقدس «فوت»، ونساوي الأمر وكلًا منا يرحل على خير، ها ما قولك؟

تمشّى جميعهم؛ الحكيم بصحبته ابنته كعكازه وبراجا ومعهم إيهاب إلى باب خلفيّ مطل إلى مزرعة كبيرة خلف البيت، وكانت مظلمة ومرعبة وكئيبة.

ظل براجا يضحك على ما أثاره إيهاب من موضوع الأموال، فلم يتوقف عن الضحك، كان الأمر يستحق المحاولة من جانب إيهاب؛ فربما الأمر كله لدفع أموال، فالأموال في النهاية وسيلة، وسيلة للعيش، للطعام، للسفر، وليست غاية في حد ذاتها، فلو كانت الأموال هي مفاتيح السجن الذي سيخرج منه إيهاب، فربما حان وقت دفعها.

كان الأمر يستحق المحاولة، ولكن ردود فعل «براجا» وضحكه المتواصل بدون تعليق كان قد ردًا على إيهاب.

براجا: أنت لا زلت لا تصدق الأمر، غريب أمركم يا عرب، رغم كل شيء ترونه يدعو للتصديق فإنكم لا تصدقون في النهاية.

كان لديكم عالم كما حكى لي النبي «باتول» يدعي مصطفى محمود أتى هنا إلى نيبال في الستينات، عرف منه أنه وُلِد مسلمًا، ولكنه أصابه الشك، شك

في عقيدته التي ولد بها، وظن أن لا حق قبل أن يدرس كافة العقائد الأخرى، أتى وجلس بين يدي والد النبي «باتول»، النبي الراحل «فكتار»، وروى له عن النبوءة وفلسفة الإله «فوت»، وكيف أن إذا كان الظمأ إلى الماء يدل على وجود الماء؛ فكذلك الظمأ إلى العدل لا بد أنه يدل على وجود العدل، ولأنه لا عدل في الدنيا... فهو دليل على وجود الأخرى، على كل الأحوال هو لم يصدق الأمر كثيرًا وذهب إلى البوذيين؛ ليرى فلسفتهم في الحياة والموت والخليقة.

إيهاب: أعرفه بالطبع، ولكن لماذا لم يقتنع بالأمر؟!

براجا: لأنه لم يرد أن يترك عقيدته ليدخل في عقيدة لا حياة فيها، لا حب للمال؛ فالمال هنا لا يعني لنا شيئًا، لو أراد الحكيم النبي «باتول» أن يكون أغنى ما في الأمر لكان الأمر ببساطة، ولكن لو أصبح أغنى من في الأرض، ماذا سيفعل بالمال؟ أنتم هناك في أوطانكم تقتلون، ترتشون، تقيمون الفساد في أرضكم، رغم أنه نُهِي عنه في عقيدتكم، كلًا من أجل المال، ماذا وصلتم إليه؟ لا شيء لديكم، ماضي بلا حاضر، حتى إرث أجدادكم عندما تجدونه صدفة أو بتدبير تقومون ببيعه لمن يدفع أكثر!

إيهاب: اخرج من تفكيري، لا تتلاعب بأفكاري، لن تنجح «براجا»، نحن هنا ليس لمناقشة أديان ومقارنة عقائد، أنا أتيت لنيبال فقط لأخرج من دائرة مليئة بالحزن والشقاء والتفكير الذي لا نهاية له، ليس لأدخل دائرة شقاء أخرى.

براجا: لا دوائر ولا شقاء ولا مقارنة للعقائد، عقيدتنا لا يمكن أن تدخل فيها، هي ليست مبشرة لذلك، لم يدخل فيها عالمكم مصطفى محمود، أنا فقط أناقش منطقيات، أجاوبك بطريق غير مباشر عن عرضك المالي السخي، هنا مالك لن يفعل لك شيئًا، لن يفيدك في شيء؛ لذلك ضحكت، ضحكت من سذاجتك، أتعتقد فينا بعد كل ذلك أننا عصابة تبغي أن نستولى على أموالك؟! أهكذا تعتقد فينا، إنها إهانة؛ فأنا لا أحتاج أن أدخل إلى تفكيرك، بالفعل نحن داخله، نستولى عليه منذ اللحظة الأولى التي رآك فيها الإله المقدس «فوت»، نحن بداخلك ونحن الآن ها هنا في مدافن الإله المقدس «فوت» نحاول مساعدتك، لا أخذ أموالك،

إنها فرصتك الأخيرة في الطرق ذات المراحل الأربعة، ستقوم الآن برحلة الطريق الأول، سيشرح لك النبي الحكيم «باتول» وسأقوم بالترجمة، لذا عليك أن تنتبه لما سأترجمه لك؛ فالأمر خطير ولا يمكن حال فشلك تكراره بأي حال، كما أنه يجب أن تطيع ما سيقال لك.

إيهاب: أنا لا أفهم، ماذا عساي فعله في هذا الأمر؟! الوقت داخل تلك الأرض الشاسعة قبول في الليل، ما عساها أن تكون تلك المراحل؟ أنا لا أفهم!

براجا: إن الحكيم النبي «باتول» يقول لك يا إيهاب أنت الآن أمام أراضينا المقدسة، والتي تحتها ترقد أجساد الراحلين، وفوق أرواحهم تنظر إليك وتستغرب وجودك بينهم، إن عليك الآن أن تترك تفكيرك وتشويشك خلفك وتسير الطريق هذا وحدك، ويصحبك يقين بأن كل شيء هنا قابل للتصديق، ولكن لا تصدقه، سيكون عليك البحث عن قبر معين هنا ونبشه، ثم البحث عن قرد بني اللون وأن تقتله بيدك، لا باستخدام آلة حادة، وتكون رحيمًا في قتله، ثم تأخذ جثته وتفرك بدمائه وجهك، وتستلقي بجانبه في هذا القبر مدة ساعتين، هنا ستمشي رحلة، إذا نجوتَ منها ستجدنا لتبدأ مهمتك التالية!

إيهاب: ماذا؟! ماذا تقول؟! أجد قردًا حيًا، وأقتله بيدي ثم أغطي وجهي بدمائه وأجلس في قبر أنبشه؟! أنت تطلب المستحيل، حتى قاتل محترف لا يمكنه أن يفعل شيئًا كهذا بمنتهى القذارة، كيف لعقيدة تدعون أنها للكمال أن تقوم على قتل قرد بريء؟!

براجا: إذًا لا تفعل وسأدلك بنفسي على مكان رحيلك من هنا، لا وقت لدينا.

إن الحياة دائمًا تخيرك بين الخيارات الأصعب، كما كان يفعل الأسبان في حروبهم ضد الملكة ماري ملكة إنجلترا، عندما يكون لديهم أسرى جنود إنجليز كانوا يخيروهم خيارات، وكلاهما موت، ولكنهم كانوا يدعونها «رحمة وحقوق إنسانية»! إما الموت شنقًا أو ضربًا بالنيران، وعليك أن تختار، وعندما تختار يختارون لك إحداهما، وهكذا الأمر.

فإيهاب بعد يومين سيموت، وإن مشى في هذا الطريق ربما سيموت أيضًا؛ فهو يعلم أن جلوسه في قبر قد يغري «براجا» لقفل القبر عليه، فهو فعلًا صدّق «براجا»، إنهم بالفعل داخل مخه؛ فهم لا يحتاجون للتلاعب به بأي وسيلة.

ولكن إذا كان الموت هو النتيجة الحتمية للأمر برمته؛ فعليه أن يحاول، فربما ينجح به، وتكون تلك مفتاح نجاته من الأمر، وإن لم يكن فهو ميت في جميع الحالات.

تحرك إيهاب في الطريق بينما توقف ثلاثتهم، كلًا منهم اتجاه عكس الآخر؛ فإيهاب نحو تلك الأرض المظلمة الكئيبة التي ينبعث منها رائحة الموت في كل مكان، وأصوات القردة هنا وهناك تخيف أي كائن، بينما هم ذاهبون عائدين للمنزل، الأمر حقيقي الآن، هو لوحده عليه أن ينفّذ ما طلب منه.

كل وقت يتأخر فيه ليس في مصلحته، عليه أن يقوم بالمرحلة الأولى، إذا كانت تلك هي المرحلة الأولى فما هي بقية المراحل؟! أكيد شيء شنيع خبيث منفر، استحالة أن تكون هناك عقيدة بهذا الشكل، هم خبائث فعلًا.

ولكن على الطرف الآخر كل شيء يبدو حقيقًا، منذ أن وطِئت قدماه هذه البلد، إنه مأزق كبير، ولكن عليه أن ينهي ما بدأ.

مشى إيهاب مسرعًا نحو الطريق الطويل المليء بالموت من كل جانب بحثًا عن قرد بني اللون، عليه البحث داخل الأشجار المظلمة.

ماذا يفعل إيهاب الآن، خلَا يبحث هنا وهناك، هم في كل مكان، ولكنهم في أسراب؛ فلا يمكن أن يأخذ أحدهم من القطيع بمفرده.

ولكن هناك دائمًا حل يجب أن يفكر فقط، عليه أن يستغل ذكاءه، ظل يفكر، جلس قرب شجرة يفكّر كيف سينجح في الأمر.

ولكنه لا ينتظر أن تسقط عليه تفاحة ليجد الحل، ولكنه وجدها بجانبه، إنها موزة تساقطت من الشجرة، وَجد الحل.

ذهب مسرعًا إلى قردين يجلسان بجانب أحدهما البعض، عرضُ الجري الحل، ما عليه سوى وضع الموزة بينهما؛ فيتشاجرا عليها حتى الموت، بالفعل نفذ الخطة، وضع الموزة بينهما، بدأ كلاهما في التشاجر بينهما لينالا هذه الموزة.

جلس أمامهما ينتظر كلاهما يتشاجرا مع بعضهما البعض مشاجرة حتى الموت بمخالبهما، حتى نجح أحدهما في أن يهزم الآخر وأخذ الموزة ورحل، هنا أخذ إيهاب القرد الذي يصارع الموت.

جرى مسرعًا وضعه جانب أحد القبور وبدأ في نبش القبر، كان القرد يحاول القيام والتغلب على صراعه مع الموت، ولكن إيهاب لم يترك له المجال؛ فترك النبش وكتم نفسه حتى فارق الحياة.

فيجب أن يعيش؛ لذلك يجب على القرد أن يموت، مات القرد بين يدي إيهاب، إيهاب الذي طول حياته لم يقوَ حتى في أعياد الاضحى أن يشاهد ذبح الاضاحي، بل أن يأكل من لحم الاضحية بعد ذبحها، أن يقتل قردًا يصارع الموت.

إيهاب: أنا آسف، كان يجب عليّ فعل ذلك، ولكن أقسم بالله أن آخذ حقك منهم هؤلاء الفجرة، لن أترك حقك.

أنهى إيهاب نبش القبر الذي استمر قرب ساعة، عملٌ شاق، في سكون ليل مظلم، كان عليه فعل ذلك، أخذ القرد وأخذ دماء من الأجزاء المجروحة من المشاجرة وبدأ في دهن وجهه، كم رائحتها منفرة قبيحة، إيهاب أصابه القيء المستمر من الأمر، وبدأ جسده في الهزال، ولكنه تحامل على نفسه؛ ليكمل الأمر.

وضع القرد الميت في القبر وجلس في القبر وحيدًا خائفًا يملأ وجهه الدماء؛ ليتكِ كنتِ معي نزهة!

إنه يحتاجها الآن بجانبه، ولكن لا تحزن إن الله معنا.

إنه يعلم أن ما يفعله يناقض أي عقيدة، ويناقض الإيمان بالله، ولكنه ماذا عساه يفعل، هو مغلوب على أمره.

”لا تحزن إن الله معنا“

سقط إيهاب مغشيًا عليه من هول ما حدث، واستلقى بجانب القرد الميت...

(٢٤)

مالك: ألو... نعم أنا مالك... نزهة؟.. نيبال؟ أنا لا أفهم شيئًا، أرجوكِ فهمّيني ببطء... ماذا؟ كل هذا؟... ولماذا لا أصدقك؟... بالفعل هذا حدث، ولكن أبي لا يعلم بالأمر؛ فهو مريض وكبير في السن ولن يتحمل ذلك... ماذا؟... أنا آتٍ إلى نيبال!

أغلق الهاتف مالك، لقد كانت نزهة، لقد اتصلت به، أعطاها إيهاب نمرة تليفون مالك أخيه قبل أن يدخلا إلى بيت الحكيم، احتفظت بالنمرة واتصلت به؛ ليلحق بأخيه، وحكت له مختصرة للأمر.

هو صدّقها؛ لأنها ذكرت له عدة أشياء تثبت صدق حديثها، مثل وفاة أخيه الأكبر وظروف الوفاة، ومكالمته في الفندق، وحبكة سفر إيهاب إلى نيبال، وكذبه في موضوع السفر.

كان يشعر بأن هناك شيئًا ما يحدث لأخيه، عليه أن يتصرف سريعًا؛ لينقذ أخاه، يجب ألا يضيع المزيد من الوقت؛ فكل ثانية تحسب، موضوع سفره سهل؛ لأن في جواز سفره تأشيرات «شنغن»؛ فأي تأشيرة أخرى سهلة، كما أنه يمكنه الحصول عليها من مطار «كاتماندو» عند وصوله.

يجب أن يتصل بصديق إيهاب عادل فوزي ليشرح له الأمر... فربما لديه مشُورة يستفيد منها.

مالك: ألو عادل... أنا مالك الوايلي أخو إيهاب... لقد جاءتني مكالمة الآن

من نيبال من شخص يدعى «نزهة» تعرفها؟... لقد اتصلَت بي تقول إن إيهاب في مشكلة كبيرة وقد يموت بسببها... لا ليست خدعة؛ فهي قالت لي عدة أشياء تثبت صدق كلامها... أنا مسافر إلى نيبال صباحًا... لا عادل يجب أن تبقى، إذا حدث شيء عليك بإخبار العائلة... أرجوك... تبدو مصرًا على الأمر، ولكن ماذا عن عملك؟!... في انتظارك صباحًا في المطار سأحجز تذكرتين... أشكرك عادل.

إنها المكالمة مع عادل فوزي صديق إيهاب، ومن المكالمة أصرّ عادل فوزي للسفر مع مالك إلى نيبال؛ لإنقاذ إيهاب.

حاول مالك ردعه، ولكن يبدو أن عادل فوزي أصرّ على الأمر، لدرجة جعلت إعادة تفكيره في الأمر درب من المستحيل.

قام مالك سريعًا ليرتب شنطته ويقوم بالحجز للطيران.

ماذا فعلتَ هذه المرة إيهاب؟! يبدو الأمر خطيرًا، ولكن لن أتركك، هكذا الأخوة وهكذا الصداقة!

(٢٥)

غاب إيهاب عن الوعي ليجد نفسه في الغرفة التي بمنزل الحكيم، وبنفس تفاصيلها؛ حيث المقعد الذي كان يجلس فيه الحكيم، ولكنه شاغر، وكانت مظلمة إلا من شعاع نور يخرج من مصباح زيتي.

وهنا وجد القرد الذي أجهز عليه وهو يصارع الموت، إنه حي لم يمت، كان يتحرك في أرجاء الغرفة ذهابًا وإيابًا.

ماذا يحدث؟! إيهاب لا يفهم ما يحدث، ولكنه وجد الباب العتيق يفتح ويدخل منه أشخاص يرتدون القماش البرتقالية، يقفون في صفين أمام بعضهم البعض، إيهاب خائف لا يتحرك من مكانه.

يبدو أنهم لا يرون إيهاب كأنه لا وجود له، بينما هو يراهم جيدًا، دقائق من الصمت دخل الرجل العجوز «فوت» مدّعي الألوهية.

الجميع ينحني له عند قدومه، بخطوات هادئة بطيئة يذهب ليجلس في الكرسي، وعندما يجلس يقوم الجميع بالجلوس أرضًا.

هم لا يرون إيهاب! يتحرك أمامهم مستغربًا الأمر، أين هو؟! وفي أي زمن؟! أكيد هو في كابوس الهذيان من جراء وضع الدماء النجسة على وجهه، من ثم الغياب عن الوعي.

هو الآن في عالم اللاوعي، موجود في اجتماع ديني للمدعو «فوت» مع مريديه، كل ما يحدث غير حقيقي، نعم غير حقيقي.

ولكنه سيصدّقه كأنه حقيقي؛ ليرى نهاية الأمر، ظل ينظر لما يفعلوه، إنهم لا يفعلون شيئًا، فقط جالسون أرضًا و»فوت» هذا جالس على الكرسي لا يفعل شيئًا، فقط مغلق لعينيه يتأمل وهم جالسون في صمت!

دخل له «براجا» ومعه الحكيم «باتول» وابنته، ولكن لم يتحرك أحد من الحاضرين؛ فهم أيضًا لا يمكن للموجودين رؤيتهم.

وقف بجانب إيهاب وشاور «براجا» ناحية الباب؛ ليحدث إيهاب، تدخل منها سيدة في مشارف الخمسينات مكبلة بالأصفاد، وتبدو أنها ليست بخير جراء تعذيب أو مرض نفسي، تحدث نفسها بكلمات غير مفهومة، شعرُها غير منظّم وثيابها تبدو ممزقة، ويجرها إلى منتصف القاعدة رجل في مثل عمرها يبدو عليه الرضا والطاعة لِما يقوم به، شريط سينمائي يمر من أمامه.

إيهاب: أين أنا؟! وماذا يحدث؟!

براجا: لقد اجتزتَ الطريق الأول بنجاح، تهاني لك، أنت الآن في مكان اللاوعي في زمان الإله المقدس «فوت» في حضرته، يتلو التراتيل المقدسة في ذهنه، يسمعها الباقون وهم منصاعون لها، اترك قلبك الآن وعقلك واسمع لتراتيله، أنت الآن في حضرة قدس الأقداس.

إيهاب: ماذا تريدون مني الآن؟ هذه ليست حقيقة، أنا أعلم اني ذاهب عن الوعي الآن وكل ذلك تخاريف.

براجا: نعم أنت بالفعل ذاهب عن وعيك، ونحن جميعًا داخل وعيك، ولكنك للأسف لن تقوم منها حتى تنهي الطريق الثاني!

إيهاب: وما هو الطريق الثاني؟

براجا: أترى تلك السيدة؟ المكبلة بالأصفاد، إنها زوجة ذلك الراجل الذي يجرها خلفه، إنها خائنة، مارست الحب المحرم مع أخيه الأصغر واعترفت بذلك، وسامحها زوجها بإيعاذ من الإله المقدس «فوت".

إيهاب: وما دخلي بالأمر؟

براجا: نعم سامحها الإله وزوجها، ولكن عليها عقاب يجب أن تدفعه وهو الموت، عليها أن تكفر عن خطيئتها بالموت!

إيهاب: الموت؟! وما دخلي أنا؟

براجا: ستقوم أنت بهذه المهمة، فأوان موتها لم يأتي من الإله «فوت»؛ لذلك عليك أن تقتلها حرقًا؛ ليكون موتها قتلًا، ستأخذ مشعلًا وتشعل في جسدها النيران، ولكن عليها أن تساعدك في الأمر!

إيهاب: ماذا تقول؟! ماذا هذا الخرف؟! أشعل بها النيران وهي ستساعدني في ذلك!

براجا: نعم، وستساعدك في الأمر؛ لتكفر عن خطيئتها.

إيهاب: ماذا إن رفضت؟ أنا لا أستطيع أن أقتل روحًا، لقد قلتم بأنكم سامحتوها؛ فدعوها تعيش لعلها لا ترجع لفعلتها ويخرج الجميع سعداء.

براجا: المسامحة في عقيدتنا هي موتها تكفيرًا لذنوبها، أليس في عقيدتكم الرجم بالحجارة حتى الموت للزانية، لماذا يبدو الأمر مفاجأة لك؟

إيهاب: في عقيدتنا التسامح، وهناك مائة طريقة، مثل الطلاق وغيرها من الأمور؛ فأنا لست قديسًا في عقيدتي، ولكن لسنا محبين سفك دماء، يمكن لمن يقوم بذلك الحبس أو الطلاق أو غيرها من الأمور، الزمن الآن ليس للرجم وغيره، سأرفض ما تودني أن أفعل، أنا لست قاتلًا.

براجا: للأسف لا مجال للتراجع، إذا رفضتَ، وهذا حقك، لن تقوم من اللاوعي، ستموت في ذلك القبر بجانب القرد وسندفنك فيه، كانت هذه شروطنا منذ البداية وأنت وافقت عليها، كما أن قتل قرد أعظم عندنا من قتل سيدة خانت زوجها.

إيهاب: كان القرد ميّت لا محالة في الأمر، فقط أنا خلّصته من معاناته، لا تلصق بي التهمة وتعاملني كأني قاتل محترف، الآن فهمتُ معنى «كالا بكالا سيجما فوت»؛ فالموت فعلًا يأتي من عندكم، هي لا تستحق أن تموت!

براجا: إذًا فتستحق أنت الموت إيهاب، ستحل عليك اللعنة وستموت في ذلك القبر، لا أحد يعلم عنك شيئًا بجانب ذلك القرد، وتعيش روحك هائمة ليلًا في تلك المقابر.. هذا جوابك النهائي، لا وقت لدينا لمجادلات فارغة.

إيهاب: أنا في كابوس كبير لا نهاية له، سأصحو منه ويصبح كل ذلك خرافات، أنا لا أصدق الأمر، عقلي متوقف لا يستطيع التفكير، لا يمكن أن يكون كل ذلك حقيقة.

براجا: إذ لم تكن حقيقة فلا بأس من إحراق تلك السيدة، إنها غير حقيقية على حد قولك، ما يحدث في المنام لا يكون حقيقة؛ فإذا صدمت أحدًا بسيارتك في الحلم أو الكابوس؛ فإنك لا تقتله في الحقيقة، فلا بأس للقيام بالأمر.

إيهاب: وما سر أنك تريدني أن أفعله بشدة؟!

براجا: حتى لا يغضب الإله «فوت»، غضبه لا نتحمله جميعًا، قم بالأمر.

ذهب إيهاب مترددًا نحو شعلة المصباح الزيتي؛ ليأخذها من مكانها ويتجه نحو السيدة التي ما زالت تهذي غير عابئة بما يحدث لها.

إنه يحاول أن يقنع نفسه بأن كل شيء غير حقيقي حوله، بالفعل إنه في اللاوعي؛ فيمكنه أن يطير مثلًا مناقضًا قوانين الطبيعة، أو حتى أن يقتل كل ما في الغرفة، ناهيك أن المدعو «فوت» نفسه ميت.

كيف سيقتله إن كان ميتًا بالفعل، كل شيء يبدو غير منطقي وغير حقيقي بالمرة، ولكن لو كان هذا الأمر غير حقيقي فما الضرر من إشعال النيران في تلك السيدة؛ فهي بالتأكيد من الماضي في زمن «فوت» هذا؛ فهي بالتأكيد ميتة.

إذًا الأمر مشهد تمثيلي لا أكثر، كأننا في فيلم بوليوودي، ما عليه سوى هذا المصباح أن يرمي الزيت فوقها، ثم يشعل النيران فيها، ولينتهي الأمر ويصحو من ذلك الكابوس اللعين!

براجا: ولكن خذ حذرك إيهاب، إذا مستّتك النيران وأمسكت بك سيصبح

ذلك الأمر الذي تعتقد بأنه غير حقيقي؛ لأنك ستموت محترقًا، وإذا أمسك أي ضرر في اللاوعي ستصيبك في الوعي، لا تقل إني لم أحذرك!

استمع إيهاب لتحذير براجا، ولكنه لم يُلقِ له بالًا، فهو أمسك بشيء يريح ضميره، أقنعَ نفسه بأنه ليس قاتلًا محترقًا، بأن كل شيء غير حقيقي بالمرة.

أمسك بالمصباح الزيتي واقترب من السيدة التي يقسم أنها تراه ولا زالت تهذي بكلمات غير مفهومة، ولكنها تسجيه رافعًا يدها نحوه محاولة منها لتقول له «أنقذني»، هو متردد بما يكفي بما يحاول إن يفعله.

لا زالت تحاول أن تجعله ينقذها، هي لا تستحق الموت، اقترب منها واشحًا نظره نحو زوجها الماسك بالأكبال التي تحيط بها مبتسمًا في وجهه، داعيًا له أن يقوم بمساعدته ومساعدتها ومساعدتهم جميعًا للتكفير عن ذنبها.

اقترب منها أكثر فأمسكت بيده وعضتها بشدة؛ مما دفعه للرجوع للخلف وإلقاء المصباح الزيتي عليها؛ لينكسر المصباح ويسري الزيت والنار في شعرها وملابسها وجسدها.

يلقي نفسه للخلف أرضًا مبتعدًا بجسده عن السيدة وعن هول المشهد، احتراقها وهي تصرخ من الألم بينما زوجها لا زال ممسكًا بالأكبال ويضحك، لا يفعل شيئًا سوى أنه يضحك.

كانت تحترق في النيران، يذوب جسدها مع النار، ارتمَت أرضًا محاولة الوصول لإيهاب، بينما هو ملقًى على الأرض يحاول الابتعاد عنها وعن النيران.

حقيقي أو غير حقيقي؛ فالمشهد مهول وغير قابل للتصديق، ولكنه حي أمام عينيه، سيدة تحترق ولا زال «فوت» هذا مغلق العينين، والمريدون جالسون لا يأبهون لأي شيء يحدث أمامهم.

براجا والحكيم وابنته ليسوا موجودين، لقد اختفوا من المشهد، فقط إيهاب ملقى على الأرض مبتعدًا عن السيدة، لقد احترقت وماتت.

ماذا فعل؟! لقد قتلها بكل برود دم، لقد أصبح قاتلًا حتى لو كان حلمًا أو كابوسًا مزعجًا، لقد قتل هذه السيدة التي استنجدت به لينقذها.

ولكنه اقترب فعلًا منها، ولكن عضّها له جعله يرتعد؛ فسقط منه المصباح نحوها فاحترقت، فلو لم تعضه كان يمكن أن يتراجع عن الأمر برمته.

ولكن ما حدث قد حدث، يداه تنزف دمًا من العضة، فهو لا يشعر بالخير، غثيان، إنه الآن يغيب عن الوعي، كل شيء يدور حوله الآن.

المكان يصبح أكثر ظلامًا من ذي قبل، سيستسلم إلى الغياب عن الوعي، هو لا يريد ذلك، لكنه لا يستطيع التحكم في نفسه.

إن ما يحدث له كثير، بل مهول لا يتحمله بشر، ما حدث له في يومين لا يحدث لجنود أمريكيّين ضلوا طريقهم في غابات فاتينام وقعوا أسرى للمقاتلين الفيتناميون، إنه يهذي الآن، يغيب عن الوعي.

لقد... لقد... لقد... أغمض عينيه وسقط مغشيًا عليه.

(٢٦)

في مطار «كاتماندو» وصل كلٌّ من مالك وعادل فوزي إلى المطار متجهين إلى الخارج، مسرعين نحو هوستيل السلام الذي كان يتواجد فيه إيهاب برفقة المجموعة آملين في أن يجدا نزهة هذه لتساعدهم في العثور على مكان إيهاب.

هم ليسا بزائرَين، مالك في مهمة لإيجاد أخيه؛ فلا وقت للتصوير وتضييع الوقت والمرح هنا وهناك.

ما ساعد مالك أسفاره الكثيرة جعلته يعرف اختصار الوقت واختيار الوسيلة المناسبة الريعة للذهاب إلى المكان الذي كان يسكن به إيهاب وقت أن حدثت كل تلك المشكلات.

عادل فوزي: ماذا قلتَ لوالدك عن موضوع سفرك؟ حكيت له عن الأمر؟

مالك: بالطبع لا، هو مريض؛ إن سمع أن إيهاب في ورطة ممكن أن لا يحتمل الأمر ويموت فورًا.

عادل فوزي: ماذا فعلتَ إذًا؟

مالك: ادّعيت أن هناك صديقًا مني قريب مريض بشرم الشيخ وعليّ الذهاب إليه؛ لأراه، ولم يعترض، ولكنه يشعر بأن هناك خطبًا ما، يشعر بشيء وأنا أعرف ذلك.

عادل فوزي: وماذا سنفعل الآن؟ إلى أين نحن ذاهبان؟

مالك: نحن ذاهبان إلى هوستيل السلام الذي كان يسكن فيه إيهاب رفقة المجموعة التي سافر معها، أدعو الله عز وجل أن لا يصبح الأمر مزحة ثقيلة، وأن

نجد نزهة هذه لنرافقها إلى حيث يوجد إيهاب.

عادل فوزي: لماذا لا نخاطب السفارة المصرية؟!

مالك: يوجد تمثيل دبلوماسي لمصر في نيبال، ولكن حتى نصل لأحد الموظفين هناك ويقرر مساعدتك والاتصال بالشرطة يكون قد حُلّ النزاع بين الفلسطينيين والإسرائيليين!

عادل فوزي: آه فهمتك؛ فالأمر الآن سنقوم به بأنفسنا!

مالك: عادل، الأمر خطير، إذا كنت تريد التراجع فيمكنك البقاء في الهوستيل، أنت لم تقصّر في شيء.

عادل فوزي: أتراجع؟! هذا واجب، وسأكون معك في كل خطوة لننقذ إيهاب من الورطة.

وصلا إلى حيث الهوستيل، ونزلا منها متجهين إلى الهوستيل، وجد فتاة عشرينية تتجه ناحيتهما من وسط جروب به مجموعة أشخاص.

نزهة: أنتَ مالك، تشبه إيهاب كثيرًا.

مالك: وأنتِ نزهة التي اتصلتِ بي.

نزهة: نعم، لقد أتيتَ في وقت قياسي، دعني أعرّفك على المجموعة، هذا فادي من لبنان، وفهد من مصر، وكذلك جورج من المجموعة.

مالك: أهلًا وسهلًا بكم، عادل صديق إيهاب أتى معي، احكي لي ما حدث.

نزهة: إيهاب في ورطة كبيرة، منذ أن أتى من مصر وهو يشاهد شخصًا غريبًا دائم الظهور له وحده، وكان يتجاهل وجوده حتى لا يبدو الأمر سخيفًا لنا، أصابه المرض هنا؛ فعرَض علينا موظف المساعدة، يدعى «براجا»، وأتى لنا بحكيم ساعد إيهاب، ثم استكملنا رحلتنا في الصعود إلى الجبل آملين أن كل شيء على ما يرام، حتى ظهر له مرة أخرى؛ فأصر إيهاب النزول من الجبل ليقابل ذلك الحكيم وحده!

مالك: وتركتموه يذهب وحده في بلاد غريبة عنكم وعنه؟!

نزهة: لقد أصرّ على الأمر وتبعتُه حتى لا ينهب وحيدًا، ولحقته حتى رجعنا سويًا هنا إلى الهوستيل، وتبعنا الموظف الذي رفض مساعدتنا لمقابلة ذلك الحكيم، حتى عثرنا على منزل الحكيم، وهناك أعطاني إيهاب هاتفك إذا حدث شيء ما، بأن أتصل بك.

مالك: وماذا حدث بعد ذلك؟

نزهة: دخلنا المنزل فوجدنا الحكيم وابنته وموظف الفندق الذي تحدثا في أمور لا يصدقها عقل عاقل!

مالك: ما هي تلك الأمور؟

نزهة: إنها امور خرفة كثيرة، مثل أن ما رآه إيهاب هو إله يدعى «فوت»، وأنه متوفٍّ منذ سنين، وأن الحكيم هو حفيده، وهو نبي، والموظف هو مريد لهذه العقيدة و...

مالك: ما هذا الخرف؟!

نزهة: أنا لم أصدقها، ولكن إيهاب صدّقها؛ لأنهم أقنعوه بأنه سيموت إذا لم ينفذ ما يطلب منه، أرجوك يجب أن تنقذه؛ فهو في خطر الآن، لقد رجعَت المجموعة من الرحلة الجبلية وكانوا يريدون الاتصال بالشرطة، فما رأيك؟

مالك: لا داعي لذلك؛ لن يساعدونا على جميع الأحوال، في خبرتي السابقة دائمًا شرطة البلد تعامل الغرباء بأنهم فقط زائرين طفوليين يضعون أنفسهم في متاعب، وأنهم ليس عليهم مسح ما يوسخّونه في بلدهم.

نزهة: ماذا سنفعل إذًا؟ لن نبقى مكتوفِي الأيدي هكذا، إيهاب سيضيع!

مالك: من في المجموعة له خبرة هنا؟

نزهة: إنه فادي وفهد، أتوا هنا عديد المرات ويعرفون كل شيء هنا.

مالك: أيمكنكما مساعدتي في جلب شيء ما؟

فادي: قول أخي، يمكنني المحاولة على الأقل.

مالك: أريد مكانًا أشتري منه سلاحًا بالطلقات.

فادي: سلاح؟! هذا صعب، ولكن يمكن مساعدتك، ولكنه قد يكون مكلفًا شيئًا ما.

مالك: لا تعي همًا في هذا الأمر، هيا بنا فقط لنكسب وقتًا، أنتِ نزهة ابقي هنا مع المجموعة، سنرجع لكِ ثانيًا، أتعرفين مكان المنزل الذي به إيهاب؟

نزهة: نعم أحفظه؛ لأني ذهبتُ وعدتُ وحدي من هناك، وأحفظ معالم المكان جيدًا.

مالك: جيد، سيبقى عادل معكم، ربما نذهب أنا والأخ فادي.

ذهبا كلٌ منهما مالك وراء فادي مرتجلَين إلى السوق القديمة، وهنا شرح فادي أن أي بلد بها سوق لشراء كل شيء يعدّ غير قانوني، ففي مصر هناك أسواق داخل المناطق الشعبية لشراء الأشياء التي تعدّ غير قانونية، مثل السلاح والمخدرات والأقراص، حتى البغاء له أسواق ولكنها بعيدة عن الأعين.

ذهب مالك مع فادي إلى تلك السوق القديمة التي تباع فيها كل شيء، من خبرات فادي في السفر عدة مرات إلى دول شرق آسيا ووسطها؛ فهو يعرف هذا المكان، لا يذهب إليه لأنه لا يحتاجه.

ولكنه يعرفه، مالك لديه سلاحه المرخص في مصر، ولكن كان من المستحيل تهريبه من مطار القاهرة أو دبي، أو حتى كاتماندو، كانت مجازفة خطيرة، ولكنه ليذهب لإيهاب وينقذه يحتاج لهذا السلاح.

ذهبا إلى السوق المسمى «بالوتدير» حيث تباع فيه كل شيء وأي شيء، كله بالمال، دائمًا هناك مال، فكل شيء جائز هنا!

(٢٧)

”سوق بالوتدير“....

يافطة قديمة أكل منها الزمن، شارع قديم كبير متشعب به بيوت قديمة، وتحت كل بيت فرش لبيع الأشياء المستعملة والمسروقة، وكل شيء يباع هنا.

يوحي الأمر بأن كل بيت لديه فرش أمامه تعود لصاحب البيت، تجولا فيه مالك يتبع فادي المتقدم الذي أجرى عدة مكالمات قبل دخول السوق، فهِم مالك من خلال لكنة فادي اللبنانية تارة والإنجليزية تارة أخرى بأنه ذاهب لشخص هندي يدعى «فوجياس“,

كل شيء مباح هنا، كل شيء يباع هنا، وجد مالك أثناء تجواله كل شيء من مجموعة تماثيل لبوذا قديمة، لفرشة أخرى تبيع لحم بقري مذبوح وهو منبوذ من قبل الهندوس، إلى فرش أخرى تبيع أفاعي كوبرا ومجموعة أكواب لسم الأفاعي؛ فهم يستحضروها أمامك، وهي محرمة في نيبال.

كان مالك يلقي بعينيه هنا وهناك، هذا يمسك أفعى من فمها ويضع أسنانها داخل قارورة صغيرة مغطاة بالقماش؛ لتنزل السم من فمها، هي لشفاء الكثير من الأمراض، ولكنها لا زالت محرمة حسب قوانين نيبال.

بائع آخر يبيع قردة حية للأكل، ما هذا؟! من عساه أن يذبح قردًا ويأكله، فهِمَ فادي نظرات مالك المليئة بالقرف الشديد.

فادي: إن الاغنياء هنا من الزائرين، خاصة من شرق آسيا كسنغافورة

وتايلاند، وصينيين يحبون لحم القردة، ولكنها هنا تعد جريمة، ولكن هنا في سوق «بالوتدير»، كل شيء مباح ما دام معك المال اللازم لذلك.

مالك: أرى ذلك، لقد سافرت تايلاند من قبل ورأيت كيف يأكلون لحم الكلاب وهي غالية جدًا.

فادي: الوضع هناك مختلف؛ فهناك لا يوجد تحريم لهذا الأمر، أما هنا هو مجرم، وإذا أمسك البائع... إذا أمسك البائع ها هنا؛ فهذه حبسة تتجاوز العشرين عامًا، فهو شيء خطير، ولذلك يجني منه المال الكثير، ويجب أن أحذرك هنا شراء السلاح لغير قوات الجيش والشرطة يعد جريمة عقوبتها الإعدام، فلا تستسهل الأمر مالك.

مالك: لا تخف؛ كل شيء سيسير بدون أن تشترك في الأمر من قريب أو بعيد، ولو جرى شيء سأنفي أية صلة بك.

فادي: لا لم أقصد ذلك، أنا أساعد إيهاب بدمّي، منذ بداية الرحلة وهو شخص محترم محبوب من الجميع، لا أكذبك القول أعتقد أنه قليلًا يعاني من اضطرابات نفسية، ولكن ما تحكيه نزهة يفنّد كل ما اعتقدناه، أرجو أن ينتهي الأمر على خير.

مالك: أين هو صديقك النيبالي؟

فادي: لا هو ليس صديقي، هو مجرد سمسار سيدلنا على مكان بيع السلاح ويأخذ سمسرته، وهو هندي وليس نيبالي، اسمه «فوجياس»، ولا أعتقد أن هذا اسمه الحقيقي لأسباب تتعلق بأمنه الشخصي، هو في آخر السوق.

ترجلا كلاهما إلى السوق، منتقلين من هنا إلى هناك في سرعة بدون التوقف؛ لأنهم أدركوا أن الوقت يداهمهم، حتى وصلا لآخر السوق، كان يقف في آخره شخص نحيف طويل القامة، وكان هو المنتَظَر، السمسار الهندي «فوجياس» أو أيًا كان اسمه.

رحب بهما بدون أن يزيل نظرات الشك نحو مالك وسؤاله عدة آسئلة عن بلده وموطنه وسبب مجيئه إلى هنا؛ للاطمئنان، لعله من طرف الشرطة النيبالية مدسوس.

فوجياس: إذًا أنت مصري، وأتيت هنا في زيارة، ولكن لم تقل لي لماذا تريد هذه البضاعة؟

فادي: هو فقط زائر ويريدها كتذكار؛ فهو جامع ذلك الصنف في بلده...

فوجياس: لا! أريد ان اسمعها منه، أنت تكذب فادي، جامع هذه البضائع كيف سيخرجها من البلد؟

مالك: اسمع يا هذا، دع كلًا منا يهتم بأمره الخاص، أنت سمسار، سأضاعف لك أجرتك مقابل الحصول على ما أريده؛ فأنا سأهتم بأمري الخاص، فادي لا دخل له بالأمر.

فوجياس: آسف لا أستطيع مساعدتكما، أنا وافقت عندما أعلمني أنكما أقرباء، ولا يبدو الأمر كذلك، ولا يبدو الأمر كأنك جامع أسلحة، آسف لا أستطيع مساعدتكما.

فادي: أرجوك فوجياس لا ترحل، هو واقع في مشكلة كبيرة، وبالفعل نحن لسنا أقرباء، مجرد أصدقاء، هناك أشخاص ذوي نفوذ يريدون أموالًا منه كثيرة، وهو يريد البضاعة فقط لحمايته الشخصية.

مالك: أرجوك صدّقه، سنأخذ البضاعة ونرحل بعيدًا ولا داعي لنظرة الريبة، هذا جواز سفري وبه ختم دخول البلاد، أي منذ عدة ساعات فقط، فلم يكن لدي وقت أن أترك بلدي وأسافر في رحلة طويلة بدون راحة لأقوم بالتخطيط مع الشرطة المحلية هنا.

فوجياس: يبدو الأمر أقرب للتصديق، سآخذكم للمكان اللازم، ولكن اعذراني سأغطي أعينكما بتلك القماشة، فقط أمان للشخص الذي يبيع تلك البضائع، موافقان نستمر في الرحلة مع بعضنا، غير موافقين نرحل بعيدًا عن بعض، ها، الجواب الآن؟

بعد أن نظرا لبعضهما البعض لم يكن لديهما أي اختيار للأمر، وافقا؛ فوضع لهما فوجياس قماشة على أعينهما ومشى ممسكًا يداهما، وكان يشعر بما يدور

حولهما، ولكن لا يعلمان إلى أين يذهبا.

يشعرا أنهما يدخلا إلى ذلك البيت ويخرجا منه، ثم يتجها إلى منزل آخر، ومن ثما يصعدا درجًا ويهبطا من درج آخر.

حتى دخلا غرفة، رفع عن أعينهما القماشة؛ فوجدا نفسيهما في بيت قديم مغلق النوافذ، وبه صناديق خشبية بها جميع أنواع الأسلحة التي تبدو مهربة من هنا وهناك.

وكان يجلس شخص في مكتب يشرب الويسكي وينظر لهما، ينظر إلى هذين الغريبين ينتظر منهما أن يتحدثا، لا أحد فيهم يتحدث.

بائع الأسلحة: لا أحد يريد التحدث! ماذا تريدون؟! لقد قال لي فوجياس بأنكما تريدان سلاحًا بالطلقات، عن أي شيء تبحثون؟!

مالك: أريد فقط سلاحًا بطلقات؟

بائع الأسلحة: امم يوجد الكثير هنا، ولكن أي نوع تريد؟

مالك: بيستول pistol.

بائع الأسلحة: توجد سيمِي أتوماتيك بيستول ٩ملي كندي هندي، ويوجد sig بيستول ساور ألماني، كما يوجد جلوك ١٧ نمساوي.

مالك: سآخذ الألماني، و٢ دائرة طلقات.

بائع الأسلحة: ولكنه مكلف كثيرًا؛ فهو تحفة بمعنى الكلمة، جربه، الرصاصة الاولى مجانية، الأخريات مدفوعة، كما تعلم أنا أدير تجارة هنا.

أمسك مالك السلاح sig ساور الألماني، اخذ يقلب فيه قليلًا.

بائع الأسلحة: أنصحك أن لا تحاول شيئًا ما ذكيًا؛ فأنت محاط بأشخاص كثيرين، هذا إن فكرتَ أن تصيبني بالرصاصة المجانية!

أمسك مسدسه مالك وصوّب نحو حائط كاتم للصوت وأطلق رصاصة على

الحائط؛ فانكسر جزء من الحائط.

مالك: سآخذها، ما ثمنها؟

دفع مالك أموالًا كثيرة نظير المدح، وكذلك اموالا كثيرة للسمسار الهندي وانتهت الصفقة، وضع السمسار الهندي القماشة على أعين مالك وفادي، وخرج كلٌّ منهم نحو الطريق الذي سلكاه مغميّا الأعين.

ولكن أطول قليلًا، كان يحرهما السمسار وفي لحظة تركهم، انتظرا قليلًا ربما هو يفتح بابًا أو ما شابه ذلك.

لا... هو تركهما ورحل بعد أن أخرجهم مغميّا العينين بعيدًا كثيرًا عن مكان الصفقة وبائع الأسلحة.

فادي: هيا بنا نعود الآن، لا أعرف أين نحن! ولكن بالتأكيد نحن في شارع جانبي في السوق، وجودنا ليلًا خطر هنا؛ فالعصابات كثيرة هنا، وأرجوك خبئ السلاح في ملابسك ودعنا نرحل سريعًا من هنا.

مالك: أين ذلك السمسار؟!

فادي: لقد رحل بعيدًا، تمت الصفقة، أنت اشتريت، التاجر مجهول المكان قد باع، والسمسار أخذ سمسرته، كل شيء انتهى، دعنا نرجع الآن إلى الهوستيل؛ لنجتمع مجددًا بالجروب.

(٢٨)

استفاق إيهاب في غرفة كبيرة هائلة مظلمة، نصفها الآخر مليء بالمياه القذرة والفئران، إنها زنزانة، إيهاب محبوس!

بدأ يستدرك الأمر ويستفيق.

بدأ يستذكر الأحداث منذ أن بدأ البحث عن القرد، ثم نبش القبر، ومن ثمّ شجار القردة الاثنين وأخذه لقرد منهما يصارع الموت، ووضعه داخل القبر، ثم الغرفة التي بها المدعو «فوت» وإشعاله النيران بدون قصد في السيدة التي ادّعى «براجا» أنها خانت زوجها.

ثم غيابه عن الوعي، ولكن هذا كل شيء يبدو مجرد حلم كابوس مريع، ولكنه شعر بألم شديد في معصم يديه، ينظر إلى يديه اليمنى يجد بها آثار دماء متجلطة، وزرقان من آثار عضة.

لم يكن الأمر كابوسًا أو خيالًا، إلا إذا كان هو الآن في كابوس آخر، أما لو حقيقة فهذا يعني أن كل شيء حدث حقيقة، هو تائه الآن لا يعلم أي شيء، لماذا هذه الزنزانة؟! هل هو محبوس؟!

لماذا؟! هل وجدته الشرطة النيبالية ووضعته داخل هذه الزنزانة؟! ما هذا الخرف؟! الشرطة النيبالية عندما تجده بهذه الحالة ستعالجه أولًا ولا ترميه في زنزانة مغشيًا عليه.

كما أن هذه الزنزانة لا تبدو كزنزانات مراكز الشرطة، هي تبدو كقبو منزل

أُعدّ لهذا الغرض.

ولماذا كل ذلك التفكير؟! ما عليه سوى أن يطرق الباب لعل أحدًا يجيبه، ولكن يداه اليمنى لا تقوى على ذلك، سيطرق بالأخرى.

إيهاب: أيوجد أحد؟ أهناك من يسمعني؟! أين انا؟ لماذا أنا هنا؟!

ظل إيهاب على هذا الحال قرابة النصف ساعة حتى شعر بأن هناك خطوات تقترب من الباب.

الباب يُفتح، كان براجا واقفًا مبتسمًا ابتسامته التي لا تفارق وجه، ابتسامة خبيثة.

براجا: آه، لقد أفَقت، ولكن لماذا كل هذه الجلبة؟! أنت في زنزانة صحيح ولكنك لست محبوسًا، فقط ليس لدينا أماكن للضيافة هنا.

إيهاب: أين أنا بحق الجحيم؟!

براجا: أنت في قبو البيت، تركناك حتى تستريح قليلًا، لقد أخذناك من تلك الحفرة بجانب القرد إلى هنا.

إيهاب: وماذا عن الغرفة والسيدة التي احترقت؟!

براجا: آه، أهذه كانت المرحلة الثانية؟ لا تحكيها لي؛ فلا يجب أن أعرفها، ولكن الواضح أنك نفذتها؛ لأنك لو لم تنفذها لكنت ميتًا الآن جانب القرد، صدقت الآن الأمر خطير جدًا، ليس لعبة.

إيهاب: أتعني...؟

براجا: نعم، عندما وضعت الدماء للقرد الميت على وجهك قد سقطتَ مغشيًا عليك في عالم اللاوعي؛ لتنفذ المرحلة الثانية، أنا لا أعلم ماذا فعلت فيها، ولكنك هنا ومعناه أنكَ نجحت فيه، فات نصف الطريق، خذ هذا طعام لك كله، وسنتحرك إلى المرحلة الثالثة، لم يبقَ لك الكثير، سأترك لك الباب مفتوحًا، عندما تنتهي من طعامك ستجدني في آخر الرواق في انتظارك.

إيهاب: لا أريد أن آكل...

براجا: شأنك، ولكن أنصحك أن تأكل؛ لتقوى على القادم.

تركه براجا ورحل بعيدًا إلى آخر الرواق، وجد إيهاب أمامه صحنًا به البيض المقلي وقليلًا من الجبن.

ظل يأكل منه حتى يقوى على القيام بالباقي من الرحلة، أكل سريعًا واتجه نحو نهاية الرواق.

كان داخل منزل الحكيم عبارة عن أرضية خشبية قديمة وحيطان أكل منها الزمن، وشرب منها.

توجه إلى آخر الرواق ليجد براجا جالسًا على الأرض، وأمامه كتاب نيبالي قديم مجلد كامل تتعدى صفحاته الـ ١٠٠٠ صفحة.

كان كتابًا مقدسًا، توقف عن القراءة، ما أن رأى إيهاب ينازع قواه آتيًا حاملًا نفسه بقدر الإمكان، فلو كان إيهاب هاتفًا محمولًا لكان الآن هو في مرحلة طلب إعادة الشحن «الأحمر» قبل أن يفصل الهاتف.

كان على وشك أن يفقد كل معاني المقاومة، ما رآه في عدة ساعات الكثير الكثير، ولكنه تحامل على نفسه.

براجا: آه، أرى بأنك هنا، لا تستغرب؛ هذا كتاب المقدس «فوت» به حِكَم الدنيا كلها، لولا هذا الكتاب، لا أدري ماذا كنت سأفعل، إنه كبير شيئًا ما ظل طوال حياته يكتبه.

إيهاب: هنيئًا لك، ماذا الآن؟

براجا: إنه الطريق الثالث، سنتمشى قليلًا في غابة الأشجار خلف المنزل، وسأقول لك ماذا ستفعل؟ أنا سأكون معك في هذه المرحلة.

بالفعل أخذه براجا وتمشّى به في غابة الأشجار خلف منزل الحكيم، كان إيهاب متثاقلًا في مشيه من جرّاء التعب الشديد والوجع الناتج عن العضة.

براجا: أنت تتساءل الآن ماذا نفعل هنا؟ إليك الآتي، نحن في غابات «ماتشارا»، وهي غابات خطيرة جدًا، أنا لا أستطيع المشي فيها ليلًا، أخاف على نفسي من الموت فيها.

إيهاب: أنت تخاف من الموت؟! لماذا؟! لقد فضّلك إلهك «فوت»، وهذا يدعو إلى شكره وامتنانه.

براجا: لا صديقي إيهاب، أنا أريد أن أعيش، سأصدقك القول؛ أنا ولدتُ يتيمًا متشردًا، لا أعلم من هم والداي، كنت أتسوّل في شوارع نيبال وعمري كان في العاشرة، تبنّاني الحكيم النبي «باتول»، وتعلمتُ على يديه وزوجّني لابنته التي تكبرني بأكثر من ثلاثين عامًا، لقد كانت والدتي وأختي وزوجتي، وعدُوني بأن النبوءة ستنتقل لي بعد أن يختار «باتول» ميعاده بجوار الإله «فوت"؛ لذلك لا يجب أن أموت حتى لا تنتهي العقيدة بموتي، سأكمل الأمر وأسلمها فيها بعد لآخرين.

إيهاب: ولماذا لا تكُن زوجتك ابنة الحكيم هي النبي بعده؟

براجا: لا يجوز أن تكون من لديها دورة شهرية أن تكون نبيًا، لماذا لم يكن في عقيدتكم سيدة نبيًا؟!

إيهاب: لا أعلم ولا آبه للأمر، أريد فقط أن أنهي ما أنا فيه حتى أرحل إلى بلدي.

براجا: رفقًا أخي إيهاب، أنت محل امتنان من الإله «فوت»؛ لذلك نساعدك، لولا ذلك لتركناك تموت، يجب أن تمتن!

إيهاب: براجا، أنت متسلق، طموحك لا حدود له، أنت لا تحب زوجتك، فقط تريد النبوءة، ولكن في يديك التخلص منها الآن.

براجا: هههه، أنت ذكي؛ بالفعل أنا لا أحبها، هي فقط طريقي للنبوءة، هي تعلم ذلك، ولكن لا وقت لديهما لإيجاد بديل لي، هي تعرف علاقاتي النسائية الكثيرة، ولكن ماذا عساها تفعل؟ أنا مليء بالطاقة، أما هي... ولكن دعنا من كل هذا، إلى مهمتك الثالثة، في شنطتي مشروب مستخلص من دماء قرد ممزوج بالعطارة.

إيهاب: مشروب من دماء القرد؟! ما هذا؟!

براجا: نعم، وخليط من أعشاب وعطارة مفعوله قوي وخطير، ستشربها، عند إذن ستذهب في عالم آخر، لا أعرف ماذا ستجد، ولكنك عليك محاربة ما ستجد، وإذا قمتَ من ما وجدت فهنيئًا لك، تكون تعدّيتَ المرحلة الثالثة، أما إذا فشلت فإنك ستغيب عن الوعي للأبد!

إيهاب: ستكون هنا بجانبي؟

براجا: بالطبع، نصيحة لك صدّق ما تراه هناك، صدق ما تراه... صدق ما تراه أخي إيهاب، ليكن «فوت» معك.

أخرج من شنطة مشروب أسود اللون رائحته كريهة للغاية أعطاها لإيهاب، تردّد كثيرًا في أن يشربه، حاول لمسه بلسانه، كان بالغَ القبح؛ فهو مكوّن من عصير دماء قرد نجسة وبعض الأعشاب.

حاول مرارًا وتكرارًا، حتى تحامل على نفسه وشربه، كان طعمه قبيحًا، حاول أن يتقيأ ما شربه، ولكنه داخ كثيرًا وظلت الدنيا تلتف حوله.

نظر إلى براجا؛ فوجده قد تحول إلى ثلاثة أشخاص بجانب بعضهم البعض، ظل إيهاب كالسكير يترنح هنا وهناك.

متمتمًا بكلام غير مفهوم، حتى سقط مغشيًا عليه!

(٢٩)

داخل منزل قديم يعرفه جيدًا إيهاب أنه منزله القديم أثناء ما كان والده حسن الوايلي لم يكن غنيًا، كان منزلًا قديمًا في حي الظاهر، لقد بدأ حياته من هنا، إنه يستمع إلى صوت مشاجرة تخرج من غرفة والده.

اقترب إيهاب من الغرفة ليسمع جيدًا ما يدور حوله، ماذا يفعل هنا؟! إنه بالفعل منزلهم القديم، نفس الرواق، نفس السجاد القديم.

حسن الوايلي: أنا قلتُ لكِ بأني لا أريد أطفالًا، ألم نتفق على ذلك؟

والدة إيهاب: نعم، ولكن لقد أخذتُ الحبوب، ربما نسيتُ بعضًا منها.

حسن الوايلي: لا يعنيني الأمر، لا أريد ذلك الحمل، أنا لا زلتُ أبني نفسي، لدينا الآن محمد ومالك، وأنا لا أريد هذا الطفل.

والدة إيهاب: أتريدني أن أجهض هذا الحمل؟! مستحيل!

حسن الوايلي: لا أعرف ولا يعنيني الأمر، كيف لي أن أرى ثلاثة أطفال وأنا لا زلتُ أبني نفسي، أنتِ مهملة.

والدة إيهاب: لم أكن أقصد الأمر، صدقني لقد حدثَ الأمر هكذا.

حسن الوايلي: تخلصي من هذا الحمل! وإلا...

والدة إيهاب: أخفض صوتك قليلًا... ممكن أن يصحو مالك ومحمد، إلا ماذا؟!

حسن الوايلي: سأطلقكِ وأتزوج ابنة عمتي.

والدة إيهاب: حبك القديم؟! لا تستطيع أن تنساه أبدًا! افعل ما تشاء؛ فلن أجهض نفسي.

حسن الوايلي: إذًا لقد طلبتِ الأمر!

سمع إيهاب صرخات والدته؛ فدخل مسرعًا إلى الغرفة ليجد والده حسن الوايلي يضرب والدته في بطنها لكي يجهضها، ما أن رآه حتى توقف عن الأمر.

نظر له باستغراب، اسودت الدنيا في وجهه، تغيرت ملامح المكان سريعًا؛ فوجد نفسه في منزل لا يعرفه، ولكنه كان يقف في مكان مظلم؛ فوجد منزلًا مبهرجًا، وكانت سيدة في نهاية الثلاثينات ترتدي ثيابًا مثيرة؛ قميص نوم صيفي يبرز مفاتنها، وترقص على موسيقى سهير ذكي، وأمامها رجل لا يرى ملامحه إيهاب؛ لأنه يقف خلفه.

اقترب قليلًا ليرى من يكون هذا الرجل؟! إنه أبوه حسن الوايلي، ولكنه أصغر سنًا يمسك بكأس نبيذ يحتسيه، وأمامه ترابيزة بها فواكه مقطعة وشيشة يدخنها مستمتعًا برقص هذه السيدة.

إنه يعرفها جيدًا، إنها ابنة عم أبيه! ماذا يفعلان سويًا؟! سيقف مواربًا حتى لا يراه كلاهما.

اقتربت هذه السيدة من أبيه وأزالت ملابسها قطعة قطعة حتى أصبحت عارية تمامًا، حملها والده ودخل بها إلى غرفة النوم وهي تقبله من فمه، دخلا إلى الغرفة وأغلق الباب.

إيهاب لا يصدق ما يراه، أكان والده بهذا الخِسّة، رجل يشرب ويخُون زوجته وأمه مع سيدة متزوجة، لا... لا يمكن أن يكون الأمر حقيقة.

دقائق وهو يسمع الضحك من الداخل، ينمّ عن سهرة حمراء ساخنة بينهما حتى طرقَ الباب عدة مرات.

فخرجت السيدة مرتدية روبًا وتحاول تمثيل الاحتشام، فتحَت الباب؛ فوجدت شخصًا هي تعرفه جيدًا.

السيدة: مَن؟! عرفة! ألم تكن مسافرًا إلى الإسكندرية؟!

عرفة: نعم، ولكن لم أجد قطارًا شاغرًا، سأسافر غدًا، افتحي الباب أريد أن أستريح قليلًا.

فتحت له السيدة وهي مضطربة من الموقف، إنه زوجها ويعمل لدى والد إيهاب.

عرفة: ماذا هنالك؟! لماذا أنتِ مضطربة؟! أيوجد أحد هنا؟

السيدة: ها... لا أحد هنا.

عرفة: ما بكِ؟! قولي... أيوجد أحد هنا؟

خرج حسن الوايلي من الغرفة مرتديًا جلبابه، ممسكًا بمسدسه في يده، تلجّم عرفة وهو يرى رجلًا غريبًا يخرج من غرفة نوم زوجته.

حسن الوايلي: اهدأ قليلًا، الأمر لا يبدو كما هو ظاهر الآن.

عرفة: أي أمر؟! أنك في بيتي؟ في غرفة نومي؟ مع زوجتي؟! ترسلني في مهمة إلى الإسكندرية؛ لتنام مع زوجتي؟!

السيدة: لا.. الأمر ليس كذلك، هو جاء للاطمئنان عليّ.

عرفة: اخرسي، لا أريد سماعك.

حسن الوايلي: اهدأ قليلًا ولا داعي لإثارة الجلبة، ليست في مصلحتنا جميعًا.

عرفة: أنت شخص قذر... قذر.

دارت بينهما معركة وطيدة والسيدة لا تعرف ماذا تفعل، أتكون مع حبيبها وابن عمها؟! أم مع زوجها الذي يدافع عن شرفه؟!

كل ذلك وإيهاب واقف صامت مذهول مما يرى، دارت المعركة حتى أسقط حسن الوايلي الزوج أرضًا وأطلق عليه رصاصتين، إحداهما استقر في رأسه أرداه

قتيلًا، والأخرى في صدره.

كادت تصرخ السيدة، ولكن حسن الوايلي كتم نفسها وأسكتها.

حسن الوايلي: هذا ما كنا نريده، ساعديني الآن لحمل جثته ورميها في البيارة.

السيدة: ماذا أفعل؟!

حسن الوايلي: هاتِ ملاءة سرير، سنلفّه بها، هو كان في رحلة إلى الإسكندرية، سنرميه في البيارة، سآخذه بسيارتي وألقيه فيها، لن يعثر عليه أحد، وأنتِ ستدّعي عدم معرفتك مكانه، ستأتي لي الشركة باكية لا تعلمين أين زوجك، سيبحثون عنه ولن يجدوه، هذا ما كنا نريده نحن الاثنان، ستكونين لي فقط، لن يعلم أحد بالأمر سوانا.

خرج إيهاب من الظل إلى النور أمامهما؛ مما أصابهما بالاستغراب.

إيهاب: ولكني أعلم الآن!

حسن الوايلي: من أنت؟! كيف دخلتَ إلى هنا؟!

إيهاب: أنا رأيت كل شيء وأعلم مَن قتله، إنه أنت، أبي!

حسن الوايلي: أبي؟! من أنت؟!

أمسك حسن الوايلي مسدسه وصوبه نحو إيهاب، وأطلق رصاصة، وهنا تغير المكان بإيهاب وأظلم المكان؛ لينير المكان في مكتب والده في الشركة، كان يجلس مع رجل يعرفه إيهاب جيدًا، إنه سيد الجرتلي جارهم في العمل، صاحب الشركة المنافسة لهم.

سيد الجرتلي: يجب أن تجد لي حلًا، أنت من أدخلتني لهذه الورطة؛ فيجب أن تخرجني منها.

حسن الوايلي: أي ورطة؟ إنها تجارة بها عامل المكسب وعامل الخسارة.

سيد الجرتلي: نعم، ولكن تذكّر بأنك أقنعتني كثيرًا بالعمل في هذه الشحنة

معك، وأخذتَ كل ما أملك... ٧ مليون جنيه، والآن تقول لي بأن الشحنة تم مسكها! لقد أفلست.

حسن الوايلي: أنت لستَ طفلًا صغيرًا سيد، كانت شحنة بودرة وأنا دخلتُ بنصف المبلغ، وكذلك أنت، وخسرَت الشحنة وأُمسِكت؛ فيجب أن تحمد ربك بأننا لم يقبض علينا! وقيدت ضد مجهول، احمد ربك.

سيد الجرتلي: ولكنّي ضِعت، كل ما أملكه ضاع، لقد قلتَ لي أن الأمر مضمون، والـ ٧ مليون سيرجعون لي بعد ٦ أشهر الضعف، أنا ضعت، أنت السبب؛ يجب أن تحلّ الأمر كما عقدته، أريد مالي! أو سأذهب إلى السلطات وأبلغ عنك.

حسن الوايلي: ولماذا تذهب إلى السلطات؟ هاك التليفون سأتصل بالشرطة وقل لهم ما تريد، هيا، لا تتحرك؟! عرفتك جبان، لا مال لدي، لا هي تجارة بها مكسب وخسارة، وقد خسرت، الآن ارحل عني فلديّ أعمال.

أنهى حديثه الجاف وترك المكتب ورحل، حاول سيد الجريتلي القيام من كرسيه، ولكنه لم يستطع القيام من كرسيه، أمسك قلبه متألمًا، جرى نحوه إيهاب محاولًا مساعدته.

كان الرجل في أنفاسه الاخيرة، حاول أن يقول شيئًا لإيهاب.

إيهاب: لا تجهد نفسك؛ سآخذك إلى أقرب مشفى عم سيد، لا تجهد نفسك... سأحملك إلى المشفى.

ولكن مات الرجل في كرسيه، ذهبَت الروح إلى بارئها، أظلم المشهد ثانية، ولكن هذه المرة كان منزله الجديد الذي كان يسكن فيه.

كانت غرفة نوم والدته، كانت والدته راقدة تعاني من أعراض شلل نصفي، وكانت تخدمها السيدة زوجة عرفة (ابنة عم والده).

السيدة: هيا خذي الدواء، إذا كان الله يحبك فستموتين ونرتاح منك للأبد، لا أعرف لماذا يحتفظ بوجودكِ حسن، أنتِ مثل الموتَى؛ فاصنعي معروفًا لنا جميعًا

ومُوتي، اذهبي إلى الجحيم أيتها البغيضة.

لم تكن والدته تنطق جرّاء مرض الشلل النصفي، ولكنها كانت تنظر فقط بعينها.

كان حديث عينيها أكمل حديث عن مدى قهرها فيما تفعله هذه السيدة البغيضة في أمه، دخل عليهما حسن الوايلي؛ فتبدلت لغة الحديث تمامًا!

السيدة : هيا خذي الدواء، اللهم منك الشفاء، اللهم اشفيكِ؛ لتقومي لنا وتنيري بيتك.

حسن الوايلي: ماذا هنالك؟

السيدة. : إنها ترفض أن تأخذ الدواء، ساعدني يا حاج حسن، أنا أريد فقط أن أراها بخير.

حسن الوايلي : أنتِ ملاك من السماء عفاف، لو كانت لها ابنة ما كانت فعلَت ما تفعلينه لها عفاف.

السيدة : إنها نور عينيّ، سأخدمها وأكون أسفل قدمها، سأقوم الآن لأتركك تغيّر ملابسك، بينما أنا أحضر العشاء.

خرجت أمام إيهاب من الغرفة، ولكنها لم ترَ إيهاب، لقد ظلّ مصدومًا، إنها من كانت تعتني بوالدته في أواخر أيامها قبل وفاتها، إن الصورة تتضح الآن أمامه، لم يكن الأمر على الإطلاق عن إصابتها بالشلل النصفي، بل أصيبت به عندما عرفَت طبيعة العلاقة بين زوجها وشريك حياتها ‘‘حسن الوايلي’’ مع تلك السيدة عفاف.

تغير المكان والزمان إلى منزل مريم حبيبة إيهاب، والتي تركته لتتزوج بشخص آخر جاهز للزواج الفوري.

مريم: عادل، ماذا تفعل يا مجنون؟ إن إيهاب قد يعرف ما يدور بيننا، إنه صديقك، أنا لا أريد ذلك.

كان إيهاب يقف بعيدًا في المنزل؛ ليرى حبيبته مريم يحضنها أعز أصدقائه عادل.

عادل: ومن سيُعرّف إيهاب بالأمر؟! منذ أن رأيتك وأنا أريدك، أنتِ مثيرة جدًا، وهكذا أنا أساعده.

مريم: تساعده؟! كيف؟!

عادل: نعم، أختلي بحبيبته لأعطيها خبرة كيف تتعامل مع المواقف الحميمية، أنا أريدك.

مريم: عادل، أنا عذراء، أرجوك.

عادل: ومن سيلمس عذريتك، دعينا الآن نذهب إلى فراشنا؛ فهناك حديث خاص للكبار أريدك فيه.

حملها عادل وظل يقبّلها وأدخلها غرفة نومها، وظلا يمارسان الجنس سويًا، وقف إيهاب عند الباب، وظل يبكي مما يسمع.

مريم: لا... لا تتحسّس هذا الموضع؛ فأنا أغير منه، عادل توقف، مجرم توقف ها ها ها.

تغير المكان والزمان إلى الصحراء في طريق القاهرة- العين السخنة-، يقف إيهاب قبيل غروب الشمس في طريق صحراوي فارغ؛ ليرى سيارة أخيه مسرعة من بعيد وتطارده سيارة أخرى.

حتى اختلت عجلة القيادة بأخيه محمد ودخل في الرمال بجانب الطريق؛ فأسرع متجهًا نحوه لينقذه بعد أن انقلبت السيارة عدة مرات.

خرج محمد ينزف من السيارة يصارع الموت، ينزف من أنفه ويبدو أن ذراعه انكسر، وقع خارج السيارة، لحقَت به السيارة التي تطارده، خرج منها أربعة رجال مسلحين.

أحد الرجال المسلحين: أرجوك لا تأخذ الأمر بمحمل شخصي، ولكنها أوامر!

محمد: أوامر من مَن؟

أحد الرجال المسلحين: أوامر من والدك!

محمد: أبي؟!

احد الرجال المسلحين: نعم، لقد عرف اتفاقك ومقابلتك مع رجال مكافحة المخدرات لتبلغ عنه، تبلغ عن والدك؟! كم أنت خسيس.

محمد: أبي؟! يفعل ذلك بي؟!

احد الرجال المسلحين: نعم، أرجوك لا تأخذها بمحمل الجد، لقد طلبَ منّا أن نجهز عليك ولا ندعك تتعذّب، فأنت ابنه البكر.

لم يصدق إيهاب ما يسمعه وجرى نحوهم، ولكنهم كتموا أنفاسه حتى لا يقوى بجسده المصاب من الحادثة على المقاومة ومات!

أحد الرجال المسلحين: خذوا هاتفه ومحفظته وأغراضه وكل شيء؛ حتى يبدو الأمر كسرقة.

أخذوا كل شيء ورحلوا بعيدًا، جرى إيهاب نحو أخيه وظل يحضنه وهو متوفّي ويبكي صارخًا.

إيهاب: اللعنة عليكم، اللعنة عليكَ أبي، يذهب مالُكَ إلى الجحيم، أبغضكَ، محمد... محمد... محمد، رُدّ عليّ، اللعنة على كل شيء، أخي... أخي، أنا إيهاب، أتسمعني؟!

قام إيهاب صارخًا صراخًا هستيريًا حتى سقط مغشيًا عليه، أظلمت الدنيا في عينيه!

(٣٠)

اقتربوا من المنزل؛ مالك وعادل ونزهة، كانوا بين الزراعات يضعون خطتهم قبل أن يقتحموا المنزل.

مالك: أهذا هو البيت نزهة؟ متأكدة؟

نزهة: نعم بالطبع، كيف لا أعرفه؛ فقد قضيت به بعض الوقت، أعرفه عن ظهر قلب، متأكدة أنه هو.

عادل فوزي: كم شخص بالداخل؟

نزهة: ما أعرفه الحكيم وهو عجوز، ومعه ابنته ولا خوف منهما، ولكن الحذر من براجا هذا، هو شخص لئيم، ولكن لا أعلم إن كان هناك آخرون بالداخل.

مالك: أيوجد مدخل آخر؟

نزهة: لا أعرف ولكن حذاري؛ توجد كلاب تنبح كثيرًا عند وجود شخص غريب في الجوار.

مالك: ابقي ها هنا نزهة، سندخل أنا وعادل إلى الداخل، الموضوع خطير ولا أريد لكِ أن تؤدي.

نزهة: لا، أنا معكما خطوة بخطوة، أنا لا أخاف، سأكون معكما.

عادل فوزي: أرجوكِ نزهة، ابقِي هنا، ربّما الأمر سيتطور.

نزهة: لا سأحضر معكم، أنا لا أخاف، ثقوا بي، أنا يمكن أن أفعل الكثير،

فقط ضعوا ثقتكم بي، وكمان لتِعرِفوا المكان بالداخل، أنا أعرف مكان الغرفة الرئيسية التي بها مدّعِي الألوهية والنبوءة.

مالك: إذا كنتِ تصرّين، ولكن تعالِي في ظهري، سنتسلق من هذا الجانب وندخل من هذه النافذة، وستساعدينا في إيجاد المكان الذي به إيهاب.

عادل فوزي: أرجو أن لا يكون قد فات الأوان ونجد إيهاب!

وبالفعل اتجه ثلاثتهم في ركن المنزل البعيد عن المدخل والبعيد عن المكان الذي به الكلاب المسلسلة.

وبدأوا في الصعود من سور المنزل قافزين نحو بلكونة الدور الأول، وكان هناك نباح قليل من الكلاب؛ لأنهم بعيدون عنهم.

صعد في البداية مالك وحمل عادل نزهة، وأمسك بذراعها مالك وساعدها في الصعود، ومن ثمّ صعد عادل إلى الداخل.

فتحوا برفق، حتى لا يحدثوا ضوضاء، شباك البلكونة داخلين إلى غرفة تبدو أنها غرفة نوم الحكيم.

ترجلوا برفق حتى وصلوا لباب الغرفة، ومن ثمّ خرجوا منها متجهين نحو الرواق المؤدي إلى أسفل.

أشهر مالك مسدسه السوار الألماني محركًا القضيب من السلامة إلى زر عدم السلامة؛ ليكون جاهزًا لأي موقف.

نزل بخفة وهدوء من الدرج نحو الأسفل، ولكن صوت الأرض الخشبي القديم كان يحدث صريرًا لا حلّ لإيقافه.

ونزلوا بالفعل برفق وهدوء، وكان دائمًا يلتفتُ مالك إليهم ويضع صباعه على فمه منبهًا على ألا يحدثا ضجيجًا من خلال مشيهما على الأرضية الخشبية القديمة.

نزلوا إلى الطابق الأسفل، كانت الدنيا مظلمة لا حياة فيها، ولكنهم اتخذوا حذرهم من الأمر.

فضلوا أن يسيروا بجانب الحائط، حتى يصلوا إلى مبتغاهم، شاورت نزهة لمالك عن مكان الغرفة واتجهوا نحوها في خفّة، وضع مالك أذنه على الباب ليسمع ما يدور بداخلها، وهمست نزهة له.

نزهة: ماذا تسمع بالداخل؟

مالك: صه! لا أسمع شيئًا، ماذا سنفعل الآن؟! يبدو أنه لا يوجد أحد بالمنزل.

عادل فوزي: متأكدة أنه البيت نزهة؟

نزهة: نعم بالطبع، أنا لست مجنونة، إنه المنزل وذلك الرواق، وهناك مدخل البيت.

مالك: أرجوكما أخفضا صوتكما، سأفتح الباب في هدوء، فقط كونا ملاصقين لظهري!

حاول أن يفتح مالك الباب، ونظر خلفه ليجد شخصًا في الثلاثينات قابض على رقبة نزهة وعادل بسكين على رقبة كلٍّ منهما.

براجا: ألقِ سلاحك بهدوء، أتسمعني؟! ألقِ سلاحك بهدوء، السكين مغروز في رقبة هذا الشاب وهذه الشابة.

تردّد كثيرًا من هول المفاجأة مالك في إلقاء مسدسه، ولكنه قرّب كثيرًا السكين في لحم رقبتهما مما جعل الدماء تسيل منهما؛ فامتثل للأمر وألقى بسلاحه أرضًا، ورفع يديه ليشير بأنه خالٍ وأعزل.

براجا: تقدم بهدوء إلى الغرفة إلا مات كلاهما، هيا تقدم ولا تنظر لي، أنت أخو إيهاب؛ تشبهه كثيرًا، هيا.

مالك: أين إيهاب؟

براجا: كنت سأجاوبك لو أتيتم من الأبواب، أما دخول الأفلام هذا والتسلل كاللصوص هذا أمر أتعجب له، أنا من يتحدث، أما أنت فلا تتحدث!

مالك: اسمعني.. أنا فقط أريد أخي إيهاب وسنذهب جميعًا بعيدًا، لن نبقى يوما في نيبال، غدًا ستشرق الشمس ونحن خارج هذه البلاد!

براجا: فات الأوان، اصمت وادخل بهدوء للداخل؛ هناك حفل ينقصه وجودكم، هيا.

دخل مالك إلى داخل الغرفة ووراءه دخلت نزهة وعادل مهدّدَين بالسكين في رقبتهما.

كان يجلس الحكيم وابنته، أجحظت عيناهم مما رأى، تمتم بكلمات نيبالية براجا لم يفهمها ثلاثتهم، ولكن مضمونها كان مفهومًا.

قامت السيدة ابنة الحكيم وجاءت بأكبال وأصفاد وطوّقتها على أرجل مالك ويديه، وبعدها ترك براجا عادل وقامت السيدة بنفس الأمر معه، وأخيرًا نزهة.

قاما براجا بنفسه بالأمر.

براجا: يا حمقاء، أكنتِ تعتقدين أننا صدقنا المسرحية الهزلية التي دارت بينكما، لقد كنتُ أتوقع مجيئك، ولكن اعتقدتُ أنها ستكون مع الجروب الخاص بكم لا أخاه، كيف وصلتِ له؟! أنتِ ذكية، جميلة وذكية.

وهنا قام براجا بتقبيل نزهة رغمًا عنها، ووضع يداه داخل بلوزتها لتحسّس صدرها رغمًا عنها.

ظلت تحاول أن تدفعه بعيدًا عنها، ولكنها كانت مكبّلة، كل ذلك أمام نظر زوجته ابنة الحكيم، وأمام الحكيم أيضًا، الذي لا حول ولا قوة لهما فيما يفعله براجا بالمسكينة.

حيث أمسكت ابنة الحكيم فمها الذي يبدو أنها متألمة من شيء ما في فمها ولا تستطيع إلا أن تطبقه.

براجا: منذ أن رأيتكِ وأنتِ مثيرة، وأنا أريدك، لا تعلمين كم مرة مارستُ الجنس معكِ في خيالي، كم مرة رأيتكِ وذهبتُ إلى الحمام لأمارس العادة السرية! كم تخيلتك معي في فراشي، سأنهي ما بدأتُ وأتركك للنهاية لتكوني لي فقط.. سنمارس الحب معًا.

سقطَت نزهة مغشية عليها مما يحدث، كل ذلك ومالك وعادل عجزا عن فعل أي شيء.

ظل يضحك براجا بعد أن سقطت مغشية عليها.

براجا: الآن تبدأ المرحلة الرابعة والأخيرة!

(٣١)

المكان هو الغرفة الكبيرة التي توجد بها صورة المدعو «فوت»، أو كما يسمونه مريديه «فوت» الإله، كان المشهد ظلاميًا في كل مكان.

حيث يجلس على الكرسي الرئيسي وسط القاعة الحكيم «باتول»، وبجانبه كرسي تجلس به ابنته، ويقف «براجا» في انتظار وصول إيهاب إلى القاعة بعد أن يقوم من عالم اللاوعي الذي كان به منذ ساعتين.

دقائق من الصمت ودخل إيهاب القاعة من الباب الرئيسي منهك، قواه كانت قد خارت من هول ما رأى في الأيام الماضية، والأكثر ما رآه بعد دخوله إلى الطريق ذات المرحلة الثالثة، وشربه لدماء القرد الممزوجة بالعطارة.

دخل إيهاب إلى القاعة ناظرًا بشذر نحوهم، نظرات توحي بأنه قد اجتاز كل شيء، ولكنه لا يأبه لما يحدث له بعد ذلك، ما قد رآه يفوق إدراكه، قد كفر بكل شيء، طوال حياته بنَى لوالده تمثالًا كبيرًا عاجيًا، والآن تحطّم هذا التمثال تمامًا.

تحطّمت القيم وتحطم كل شيء جميل صادق رآه في والده، كل قطعة من اللغز حلّت أمام عينيه، أخوه لم يمت من جراء حادثة، بل بفعل مدبّر، ومن مِن غير أبيه هو من قام بذلك؟! وكذلك والدته أصيبَت بمرض الشلل النصفي، لم يكن بسبب طبي طبيعي، بل من القهر من زوجها والذي رأته يخونها في كل لحظة، ومن كانت السبب في مرضها؟! كانت أمام عينيها دائمًا حتى ماتت.

ماتت مقهورة منها، كذلك والده الذي كان المثل الأعلى في الكفاح والاعتصام كوّن ثروته هذه من أعمال غير شرعية، هي تجارة المخدرات والتي قضت على مستقبل شباب كثيرين.

كان إيهاب يرى هؤلاء الشباب أمام عينيه كيف ضاعوا من المخدرات التي يُدخلها والده، كيف كانت تجارته ستارًا لأعماله.

إيهاب لا يريد التصديق، ولكن كل شيء يبدو مرتبًا، كل قطعة ناقصة من اللغز ظهرت أمامه في عالم اللاوعي، كل شيء منقطي؛ فلا يمكن أن تكون والدته قد مرضَت نفسها وأصيبت بالشلل النصفي من نفسها بدون مسبب.

لا يمكن لتجارة الديكورات أن تدُرّ كل هذه الأرباح في وقت قليل، كما أن حادثة أخيه غامضة، بشكل يوحي بأن ما حدث مدبر وليست صدفة.

كما علاقة حبيبته بأعز أصدقائه، أو من كان يعتقده كذلك، ادّعاء الوفاء والإخلاص.

دخل إيهاب القاعة محتقنًا، يملؤه غضب عارم من كل شيء، يريد أن يفتك بالجميع أو انتظار الموت دونه، لا يعنيه الأمر، لا يخاف الموت ولا يهابه، هو مستعد لكل أو بعض الاحتمالات.

ولكن قيل أنه يموت لن يتركهم، هذا ما يحمله غاضبًا وهو داخل إلى الغرفة ليقابل أمامه «براجا»، ومن خلفه يجلس الحكيم «باتول»، وابنته تجلس على كرسي بجانبه.

براجا: مرحى، لقد أتيت إيهاب، لن أسألك عمّا رأيت هناك في عالم اللاوعي، ولكني متأكد أن أسئلة كثيرة كانت لا تحمل إجابتها معها قد جاوبَت نفسها، أنا متأكد من ذلك، عالم اللاوعي هو عالم العقل الباطني الذي يعمل كخزانة لكل شيء مر في حياتنا، صعب أن يظهر به في الحياة الطبيعية، صعب أن نُخرج منه ذكرياتنا، حتى مآسينا تكون مدفونة فيه، ولكنك الآن وما أراه في وجهك بأنك قد وجدتَ الإجابة لكل شيء.

إيهاب: أنا غاضب الآن، مملوء بالعنف والكره والمقت منكم ومن كل ما أرى، عليك أن تنهي الأمر الآن، أو تذهبوا جميعكم للجحيم؛ فأنا أريد الموت، لا يعنيني الأمر، يذهب إلهكم «فوت» للجحيم، كذلك نبيكم المزعوم وابنته وكلكم، حتى أنت «براجا»، كلكم لا تعنون لي شيئًا، كنت أفضّل الموت قبل أن أكسر هذا الحاجز الذي لن أعود منه ثانيًا، قبل أن آتي إلى هنا كنت إيهاب محبًّا الحياة، الذي يرغب في الخروج من الدائرة الضيقة للحزن إلى مكان هادئ، مكان تكون به سعادتي ولو لفترة قصيرة، أما الآن أنا إيهاب...

براجا: خلقنا منك إيهابًا آخر، إيهاب يعرف الحقيقة، إيهاب أزال من عينيه الرسومات الزائفة التي رسمها له مجتمعه، إيهاب يستطيع أن يكون «فاعلًا لا مفعولًا به»، يجب أن تمتن لنا وتشكرنا، لا أن تدعو لنا بالأبدية في الجحيم، كلنا ذاهبون لها إيهاب لا تقلق، كلنا وأنت معنا، نحن وراء ظهرك!

إيهاب: لا، لا مكان لي معكم، أنا أبني الحياة وأنتم تهدمونها، أنا أرغب في الحياة، أؤمن بها، أما أنتم تهدمون كل شيء مبهج، تكرهون الحياة، كل شيء يخرج منكم داخله رائحة الموت، رائحة الموت تنبعث من كل ركن في حياتكم، تظنون أنكم تحسنون صنعًا، تدعون الحكمة ولا حكمة لديكم، لا تعلموها!

براجا: كل ما كسبته من علم وحكمة ولم نعلّمك الحكمة بعد؟

إيهاب: أي حكمة تتحدث؟ حكمة الموت، حكمة الكره! جعلتموني أتعلم القتل والحرق، أفعل أي شيء لأعيش، أهذه الحكمة التي تقصدها؟! لا أعرف براجا، يبدو لي الأمر بأنك تلعب الأمر لحسابك الشخصي لا أكثر، لقد وُلدتَ بدون وجود والديك، فنَبذْتَ المجتمع كله ورغبت بمبدأ إذا لم تُكتَب لي السعادة فيجِب أن لا يسعَد أحد.

براجا: أنا الذي أوهب السعادة وأنا الذي أنزعها، أنا الذي عرفتُ أنك مختار من الإله المقدس «فوت»، عرفتُ كم أنت محظوظ وساعدتك، وهبتك السعادة، وعندما رفضت مساعدتك فأنا لم أوهب السعادة لك، ولكني كنت أعرف بأنك ستأتي.. ستأتي زاحفًا لي ترجو مساعدتي وترجو الخلاص، أرأيت؟! المسألة ليست

متعلقة بي في النهاية!

إيهاب: ليتني ما سافرت نيبال، ليتني ما أتيت واكتفيت بحزني، ليتني تغلبت على أحزاني في هدوء وصمت، أو دعتُها أن تزيلها الأيام، مجيئي إلى هنا حطم حياتي، ولكن لن أدعك ترقص على حكامها، ثِق تمامًا بأني لن أترككم تحطموا حياتي قبل أن أحطم حياتكم بالمثل.

براجا: متأكد من كلامك هذا؟! لا تستعجل الأمر قبل أن ترى ما ينتظرك؛ فأمامك الطريق الأخير لخلاصك!

إيهاب: لن أذهب إلى طرق أخرى، كفاني الأمر، قلت لك قبل بأني لا أخشى الموت بعد الآن، يا أهلًا به إذا كان سيريحني من رؤية وجوهكم الكريهة.

براجا: متأكد من ذلك؟ فقط تريّث وانتظر لترى الطريق الأخير أولًا ثم خد قرارك!

إيهاب: لماذا هذه المرة؟! حتى لا يغضب إلهك «فوت»؟! أنا أريد أن أرى غضبه، أريد أن يشعل بكم النيران، وأراها أمامي.

براجا: أنت تحمل غضبًا كبيرًا فوق عاتقك إيهاب، أعتقد أنك عليك التريث قليلًا؛ فهناك مفاجأة لك، إنها الاخيرة، أنا لن أدع «فوت» يغضب منك؛ فهو يحبك، وأنا لا أراك في الموت، بل أراك عائدًا إلى بلدك، تحمل كل الحب والامتنان والشكر للإله المقدس «فوت».

إيهاب: دع مفاجآتك لنفسك براجا؛ فهي لا تعنيني البتة!

براجا: ربما لا تعنيك، ولكن عندما ترى مَن وراء الأغطية سيعنيك الأمر كثيرًا.

قام براجا بالتحرك حركة سريعة، أزال الغطاء عن ثلاثة أشخاص مكبَّلين وموضوع لاصق على فمهم، نظر لهم إيهاب؛ فتوقف قلبه ثواني معدودة.

ليرى أخاه مالك مكبّل وموضوع لاصق على فمه، وكذلك حبيبته نزهة، وكذلك صديق حياته عادل فوزي.

جرى مسرعًا نحوهم؛ ليزيل اللاصق من على فمهم.

إيهاب: مجرمين.. مجرمين! مالك أخي، من أتى بك إلى هنا؟

مالك: أتيت لأنقذك منهم، لقد اتصلَت بي نزهة وحكَت لي كل شيء.

إيهاب: نزهة حبيبتي، كيف حالك؟ أزِل هذه الأصفاد براجا.

نزهة: أنا بخير، حمدًا لله أنك بخير، ولكن لماذا حالك يرثى لك؟ ماذا فعلوا بك؟!

إيهاب: إنها الطرق اللعينة، دعكِ مني، عادل صديقي، لماذا أتيت؟! أزِل براجا هذه الأصفاد الآن.

عادل فوزي: لا يمكن أن أتركك صديقي، ليس في مشكلة وأنت واقع في خطر!

إيهاب: براجا، أزل حالًا هذه الأصفاد، ودعهم يرحلون في سلام، وسأنفّذ المرحلة الرابعة أيًا كانت.

براجا: للأسف لا أستطيع ذلك!

إيهاب: لماذا؟! كبّلني أنا، سأنفّذ المرحلة الرابعة أيًا كانت، حتى لو طُلِب مني أن أحرق نفسي في سبيل سعادة «فوت».

براجا: ولاءك وتضحيتك لأصدقائك سيصعّب عليّ وعليك المرحلة الرابعة والأخيرة لخلاصك.

إيهاب: أنا لا أفهم، دعهم فقط يرحلون وسأكون ملازمًا لك، أفعل أي شيء تريده.

براجا: ببساطة؛ لأنهم هم المرحلة الرابعة والأخيرة.

إيهاب: ماذا؟!

براجا: نعم هم المرحلة الرابعة والأخيرة، الطريق الأخير الذي يجب أن تسلكه لخلاصك، ولكنه سيكون على حساب اثنين منهم، إنها الخطوة الأخيرة لتغيير حياتك، ستُولد من جديد، إيهاب جديد تمامًا، إيهاب لا يخشى شيئًا، ستعيش

أكثر من ١٥٥ عام، تعيش وحولك هالة وبركة الإله المقدس «فوت»، وشكر وامتنان نبينا «باتول» الحكيم.

إيهاب: ماذا تقول؟! أنا لا أفهم شيئًا، كيف أنهم المرحلة الرابعة؟! وكيف سيكون خلاصي على حساب اثنين منهم؟! أنا لا أفهم، ماذا تريد منا بحق الجحيم؟!

براجا: سأعطيك مسدسًا به طلقتان فقط، وعليك أن تختار بين هؤلاء الثلاثة لتردِي اثنين منهم بإصابة مباشرة قريبة في منتصف الجبهة فوق الحاجبين لأي اثنين تختارهما!

إيهاب: لا لن أفعل ذلك، سأموت.. لا أريد ذلك، لن أفعل ذلك، لن تجبرني على ذلك، لن تستطيع، أتريد أن أختار بين أقرب ثلاثة أشخاص لي في حياتي وأن أقتل اثنين منهم، لا لن أفعل، لن تستطيع هذه المرة أن تجبرني على ذلك.

براجا: كنت أتوقع ذلك، ولكن ألم تفكر أنه لو لم تفعل فلن تخرجوا أنتم الأربعة من هنا؟ ثلاثة أتوا لمنزل الحكيم ومعهم مسدس عليه بصمات أحدهم، حاولوا قتل من فيه وسرقتها ودافعنا عن أنفسنا، أما أنت فميّت لا محالة، أما عن طريق الإله المقدس «فوت» أو مدفون في أحد القبور في الخارج، الآن الجواب في يديك ومصير الأربعة في يديك، أو مصير اثنين يُكتب لهما الحياة!

نزهة: لا تصدّقه إيهاب، إنه يعبث بعقلك، لا تدعه يستغلك في ألاعيبه الخبيثة.

مالك: إيهاب، هو لن يدعنا نمشي في جميع الأحوال، لا تصدقه، لا تدعه يعبث بعقلك!

عادل فوزي: لا أحد منا إيهاب يخاف الموت، إنه يتلاعب فقط بمن يخاف الموت، لا تعطيه المجال، سنموت جميعًا، الجروب يعرف مكاننا وسيأتون لنا مع الشرطة!

براجا: هههه، أنا أفهم العربية قليلًا، ولكني فهمت كلامكم، الجروب الآن يستعد لطيران العودة، أتاني اتصال من أحد اتباعي أنهم في المطار يجهزون لإجراءات الرحيل، الشرطة هنا لا تستطيع المضِيّ قدمًا إلى بيت الحكيم بدون إذنه

الشخصي، لن أدعك ترحل فعلًا، حال لم تتم مهمتك الأخيرة، أما إذا فعلتها فلا حاجة لي بك، صدّقني أنتَ محمي من الإله المقدس «فوت»، هو يحميك ولكن ليس لوقت طويل، لقد رأى غشاوة على عينيك وأزالها لك وبشهادتك الشخصية.

إيهاب: توقف! اخرج من مخي، أنت تعبث بمخي بشدة، لا أستطيع التحمل أكثر.

براجا: إذًا تمّم مهمتك ودعنا ننتهي من هذا الأمر، الأمر صعب يبدو صعبًا.

ترك براجا متحدثًا إلى إيهاب قرّب الثلاثة مكملًا حديثه مقتربًا من كل شخص على حدة.

براجا: ها اختَر، هل ستكون الرصاصة الأولى في جبهة أخيك مالك؟ إنه أخوك، ولكنه لم يكن يومًا أخاك، لم يعتني بك، تركك في حزنك، لم يساعدك، فكّر قليلًا، والدك مريض وعندما تكون أخًا وحيدًا سترث كل شيء، أموال أموال، هذا ما تصبون إليه دائمًا يا مسلمين الأموال!

أم حبيبتك نزهة، ألم تفكر قليلًا؛ هي لم تحبك، هي فقط عرفت أنك غني معك أموال وخرجت من قصة حب فاشلة، إنه الوقت المناسب والأمثل لتدّعي الحب عليه والتلاعب به، أراهن أنها جاءت كصياد تلقِي شباكها على أحدهم، إنها الحرب منذ أن بدأت الرحلة وهي تلقِي نظرات الحب هنا وهناك تنتظر أحدهم، وجدت ضالتها بك...

نزهة: اخرس! ليست كل الأشخاص مثلك، لا تدعه يتلاعب بمخك، هو يعرف ذلك تمامًا، أنا أحببتك إيهاب، لم أعرف أن لديك أي أموال، وأنت تعرف ذلك جيدًا، لم يكن ليجبرني أحد أن أترك الرحلة وأنزل وراءك، أو أعتني بك عندما مرضت، أو حتى أعود لك عندما نعتّني بأني مجرد جسد بالنسبة لك، لا تصدّقه؛ إنه يتلاعب بمخك.

براجا: ها ها ها، قامت بمذاكرة دروسها جيدًا، عرفَت الأمر بأنه لا طائل مع البقاء مع الجروب عند سفح الجبل، نزلت وراءك سريعًا، إنها صياد ماهر!

مالك: استمع لنزهة إيهاب، إنها تحبك، أحسَستها من نبرتها عندما اتصَلَت بي، ورأيتها في عينيها عندما اعتلت الخطر لأجلك.

إيهاب: وأنت؟!

مالك: أنا ماذا؟! أتشك في أني لا أحبك؟ إذًا لماذا أتيتُ إلى هنا؟ إذا كنت لا أحبك فانت لست أخي الصغير فقط، بل أنت ابني، دائمًا عاملتك كابن لي لا أخ، تركت كل شيء وأتيت إلى هنا من أجلك، لم أحتمل أن أراك يصيبك مكروه.

إيهاب: ولكنك كنت تعرف بأعمال والدنا الغير شرعية، وبأنه السبب في وفاة والدتي، وكذلك هو من قتل أخانا محمد!

مالك: ما هذه الترهات؟! والدتك أصابها المرض عندما عزقَت شحنة لأبيك؛ فلم تحتمل الأمر فأصابها الشلل النصفي!

إيهاب: شحنة المخدرات!

مالك: شحنة ماذا؟! المخدرات؟! ما هذا العبث؟! أبوك لا يتاجر بالمخدرات، كانت شحنة أسقف جبسية، وكانت بمبلغ كبير، وكادت أن تجعلنا نفلس!

إيهاب: لا، بل شحنة مخدرات، وكان شريكًا بها سيد الجريتلي الذي مات من جراءها، من جرّاء الخسارة لم يتحملها فمات!

مالك: سيد الجريتلي لم يكن شريكًا لنا في أي صفقات، لقد مات سيد الجريتلي بعد أن أجرى عمليتين في القلب، إحداهما نجحت والأخرى فشلت، من التدخين، ما هذا الهراء الذي تقوله، ماذا فعلوا بك؟!

إيهاب: والسيدة عفاف ابنة عم أبي، من قتَل زوجها عرفة الذي كان يعمل عندنا ثم اختفى، وبعدها أتت لخدمة والدتي المريضة، قهرَتها فماتت، قل لي إن هذا هراء! وأنه من وحي خيالي! أبي قتل عرفة؛ ليختلي بزوجته.

مالك: عفاف؟! زوجها قُتل واختفى؟! عرفة زوج عفاف كان يعمل عند والدنا، ولكنه لم يُقتل أو يختفي، بل هرب لوجود ثأر عليه في بلدته، وعُثر عليه

وقتلوه من لهم ثأر عنده وعند عائلته، وحوكموا بالإعدام مقرين بجريمتهم، فكر! من تلاعب بمخك ودسّ هذه السموم، والدك حجّ بيت الله عديد المرات، من يقرأ القرآن ويصلي فكيف له أن يفعل كل ذلك؟! ولو أراد أبي ذلك لما احتاج لكل ذلك، كان تزوجها بعد وفاة زوجها حتى لو سرًا!

براجا: ها ها ها، أترى إيهاب، إنها نفس الأكاذيب التي تسمعها طوال حياتك، ها من ستختار، هل سيكون صديق عمرك عادل فوزي؟

إيهاب: ما علاقتك بمريم عادل؟

عادل فوزي: مريم؟! من ذكّرك بها؟! لقد كانت حبيبتك إيهاب!

إيهاب: وحبيبتك أيضًا، حبيبة الجميع، كم مرة مارستم الجنس معًا، تدّعي أنك صديقي بينما أنتما الاثنان غارقان في الحب معًا، فهمتُ كل شيء الآن، عندما خرجَت في عرسها بقلادة أمي وأنت أصرّيت أن تعيد لي القلادة بعد عرسها حتى لا أسبب فوضى في العرس، كم كنت غبيًا! وبالفعل أرجعتَ لي القلادة، أخذتها من فراشها؟ أنت صديق خسيس!

عادل فوزي: ماذا تقول أنت؟! مريم؟! حبيبة صديقي؟! من قال لك هذا؟ لقد كنت أعرفها قبلك، إذا كنتُ أريدها حبيبة كان الأمر سهلًا لي، أنا أحب ميرفت وهي من ساعدتني لأحلّ لغز مقتل أخي هشام، مريم من؟! نسيت! أني حذرتك دائمًا من علاقتك بها ولم تكن تسمع كلامي، ارتبطت بها أكثر وكنت أعرف أنها لا تحبك.

إيهاب: نعم حذرتني منها، أذكر ذلك جيدًا، ولكن لأتركها ويختلي لكما الأجواء، هكذا الصداقة وإلا فلا!

اقترب من وراء إيهاب براجا هامسًا له في أذنه.

براجا: أنت تفكر الآن في أني أعطيك ثلاث رصاصات بدل من رصاصتين، ولكن ليس كما جرى هذا الأمر، عليك فقط اختيار اثنين منهم، فكما ترى أنّ إيهاب كالفراشة في شرنقتها، ولتخرج من شرنقتك لإيهاب الجديد يجب عليك

أن تقوم باختيار من أذوك، لا يمكنني مساعدتك في الاختيار، إنك تعرف جيدًا ما يمكن فعله، أنت موهوب بالفطرة!

نزهة: إيهاب، أرجوك، لو كان هناك ذرة شك واحدة في حبي لك فدَع أول رصاصة لي وعِش بذنب موتي معك طوال حياتك مرافقة لك حتى قبرك!

مالك: لا إيهاب، صدّق ألاعيبه وأطلقها عليّ؛ فموتي على يد أخي وابني أفضل كثيرًا من موتي على يد هذا الأفّاق!

عادل فوزي: إذا كان هذا ظنك بي إيهاب؛ فلقد ماتت صداقتنا قُم باللازم، أفضّل أن أموت وأنا واقف كذلك غير منحنيًا لأفكارك هذه!

إيهاب: توقّفوا جميعًا! أعطِني المسدس براجا، يجب أن أنهي الأمر الآن! أعطِني إياه.

براجا: ها ها ها، ألم أقل لك موهوب بالفطرة، هاك المسدس يا بطل!

أمسك المسدس إيهاب وصوبه نحو رأس مالك، ثم إلى رأس نزهة، وأخيرًا إلى رأس عادل.

وكلًا منهم أغمض عينيه، فقط نزهة كانت عيناها مفتوحتين تبكي من قلة الحيلة، وأنها ستموت معتقدة إيهاب يظن بها ذلك.

براجا: الكل ضعيف أمام لحظة الموت، إنه الخط الفاصل بين الحياة والموت ذلك الزناد في المسدس، هيا يا بطل، أنهي المرحلة الرابعة هيا!

ظل ممسكًا إيهاب بالمسدس مشهره في وجه أخيه مالك وحبيبته نزهة وصديقه عادل، ثم صوّبه نحو «براجا»؛ مما جعله يتوقف فجأة عن الابتسام.

براجا: ماذا تفعل؟!

إيهاب: ألم تقل لي أني موهوب بالفطرة، حان الوقت لتكتشف ذلك بنفسك.

براجا: موتي لن يحل موتك، ستموت أيضًا وستذهب إلى أبدية الجحيم.

إيهاب: بالطبع، اعتقدتُ أن تلك البودرة التي وضعها لي الحكيم عندما

مرضتُ كانت ما جعلتني أصدّق كل الهلاوس التي رأيتها، وعندما أحسستَ بأني أستفيق منها كنت تدس لي منها، تارة في الأكل وتارة في مشروب دماء القرد التي شربتها، جعلتني أصدق ما رأيت في عالم اللاوعي، جعلتني أعتقد أن هذه الهلاوس البصرية حقيقة، حتى العضة كانت من زوجتك ابنة الحكيم والتي تتألم منها الآن، كانت هذه بودرة هلاوس؛ لأصدق كل شيء، نسجتَ عقلي الباطن مع الهلاوس؛ فاعتقدتُ أنا للحظة بالسوء في أبي وصديقي وغيرهم، تريد فقط أن تنجح في مهمتك؛ حتى تكون النبي المختار ليكمل المسيرة بعد «باتول».

براجا: أنت تهزي! وعندما رأيتَ عند وصولك المطار الإله المقدس «فوت»؟

إيهاب: كان الموضوع مخطط منذ البداية، الفوج يستقبله شخص من الهوستيل يقدم له مشروب ترحيب، دسستَ لي فيه مسحوق الهلاوس، وعندما بدأت مأساتي، اعتقدتُ أن ما أراه هو الإله «فوت» الذي تدّعيه، ثم مسحوق آخر من الهلاوس في الفندق جعلني أرى ما رأيت بعد ذلك، القلادة كانت معي في الرحلة إذا كنت تتساءل، ولكن الهلاوس جعلتني على تمام اليقين أنها كانت بمصر.

براجا: برافو إيهاب، لقد حلَلْتَ اللغز كله، ولكن ماذا الآن؟ لن تقوى على قتلي، ليس لديك الجراءة لذلك.

إيهاب: الفضل لك براجا، لقد صنعتَ إيهابًا جديدًا والفضل يعود إليك، إيهاب خرج من شرنقته أخيرًا! عزيزي براجا «ما يحدث في نيبال يبقى في نيبال»!

أمسك المسدس إيهاب وأطلق رصاصة استقرت في قلب براجا، ورصاصة أخرى في رأسه، وقع ميتًا في الحال غارقًا في دماءه.

وهنا نهض سريعًا الحكيم «باتول» هاربًا وخلفه ابنته.

بدون أدنى تضييع للوقت أخرج إيهاب من جيب جثة براجا المفاتيح للأصفاد، وفك الأكبال على مالك ونزهة وعادل.

حضنته نزهة بشدة.

إيهاب: اخرجوا الآن؛ فلدي عمل أخير يجب أن أقوم به!

أخرجهم إيهاب، ثم أمسك بالمصباح الزيتي وفكه ليرمي الزيت فيه على أركان المكان وعلى الستائر وعلى صورة «فوت»، وكل شيء في المكان.

ثم ألقى المصباح ليشتعل كل شيء.

خرج إيهاب بعد أن ألقى نظرة أخيرة على المكان الذي شهد موته وولادته معًا!

(٣٢)

بعد مرور ثمانية أشهر....

"حفل توقيع ومناقشة كتاب «ما يحدث في نيبال يبقى في نيبال» للكاتب إيهاب حسن الوايلي."

اجتمع الحاضرون من كل مكان لداخل القاعة المكيفة بعد أن اشتروا نسخ الكتاب من مدخل القاعة، ثم جلس كلٌّ في مقعده.

وكانت تجلس في الصف الأول نزهة وبجانبها مالك، وبجانبهم الوالد حسن الوايلي، وبجانب نزهة من الجانب الآخر عادل فوزي صديق إيهاب.

ثم خرج إلى الترابيزة الرئيسية لجنة من كبار الكتاب يتوسّطهم إيهاب.

«نشكر الحضور الكريم، اليوم جئنا لمناقشة كتاب سيرة الأسفار بعنوان «ما يحدث في نيبال يبقى في نيبال» للكاتب إيهاب حسن الوايلي، وهذه أول أعماله، دعونا نستمع لبضع كلمات من الكاتب يرشدنا عبر كتابه الشيق عن بلد شديدة الخصوصية، ألا وهي نيبال.»

«أشكركم على حضوركم الكريم، وأخص بالشكر والدي الرجل الطيب الحاج حسن الوايلي، وأخي ومثَلي الأعلى وملهمي مالك الوايلي، وكذلك أشكر صديق عمري عادل فوزي، ولا أنسى أن أشكر حبيبتي وزوجتي نزهة العبادي، شريكتي في هذه المغامرة الشيقة التي جرت أحداثها في نيبال، نعم إحقاقًا للحق كان يجب وضع اسمها بجانبي على الغلاف؛ لأنها كانت معي في كل خطوة من هذه المغامرة

التي لا تُنسَى، لم أرد أن أحتفظ بها لنفسي، بل سردتها من خلال ورقي؛ لتخرج لكم هذا العمل للجمهور الكريم».

صفق الحضور لهذه الافتتاحية، مما جعل إيهاب يبتسم فرحًا بذلك، ولكنه توقف عن الابتسام وقام من مقعده ناظرًا لآخر القاعة، بالتحديد ناحية كرسي فارغ في آخر القاعة.

أثار هذا فضول نزهة ومالك وعادل للنظر إلى حيث أثار انتباه إيهاب، ولكنهم لم يجدو غير كرسي في آخر القاعة خالٍ حيث ينظر إيهاب مستغربًا.

لقد كان أمام إيهاب، إنه هو «فوت» يجلس في آخر كرسي ويصفق بابتسامة تظهر أسنانه البيضاء.

ظل يصفّق وظل إيهاب واقفًا!

"ما يحدث في نيبال يجب أن يبقى في نيبال"!

تعريف بالكاتب

- الكاتب والروائي شريف عثمان
- اللقب «الراوي»
- مواليد الأول من يوليو ١٩٨٠
- بكالوريوس علوم سياسية
- مؤلف كتاب الراوي صدر ٢٠١٣ الطبعة الأولى، و ٢٠١٤ الطبعة الثانية
- كما ترجم العمل إلى اللغة الفرنسية
- طبع ونشر ووزع الطبعات الأخرى في الجمهورية الجزائرية تحت اسم le narrateur
- وحصل الكاتب علي تكريم من أفضل ١٠٠ كاتب في مصر في احتفالية ساقية عبد المنعم الصاوي الثقافية.
- كما حصل علي عدة تكريمات رسمية وغير رسمية في الجزائر
- له مؤلَّفٌ ساخر بعنوان « يوميات ضفدع» ٢٠١٤، طُبع ووُزّع في الجمهورية الجزائرية، وفي مصر

- للكاتب مؤلف تحت عنوان « بيبوليس «، رواية بالتعاون مع جمعية أطباء بلا حدود MSF القسم النفسي التابع للأمم المتحدة، والتي حازت على أعلى مبيعاً في مكتبات الشروق سنة ٢٠١٥ الطبعة الأولي والثانية، ٢٠١٦ الطبعة الثالثة، ٢٠١٧ الطبعة الرابعة.
- صدر للمؤلف أيضا رواية «خمس ساعات» سنة ٢٠١٦ بالتعاون مع جامعة أريزونا القسم البحثي، الطبعة الثانية ٢٠١٧
- صدر للمؤلف رواية « ثرثرة القردة» عن دار شهر زاد للنشر ٢٠١٨.
- الكاتب مؤسس لجمعية ومؤسسة #الراوي لمساعدة الكتاب الجدد والمبتدئين وثقل موهبة الكتابة لديهم.
- للكاتب مدونة ومقالات دورية في عدة صحف ومدونات كلها تحت اسم «الراوي» .
- الكاتب عضو في International Writers Association IWA، ومقرها الولايات المتحدة.

للتواصل مع الكاتب :

الهاتف

+٢٠١١١٤٥٥١٥٥٨

_Twitter: @sherifothman

Facebook: Sherif Othman «الراوي»

Instagram: Sherif_Othman

E-mail: Sherifothman2010@aol.com

قراؤنا الأعزاء.. تحقيقًا لحلم التواصل بين الكاتب والقارئ ودور النشر، والاهتمام بمعرفة رأيك دائمًا ننتظر أن تتواصل معنا لتقييم أعمالنا عبر الإيميل، أو عبر صفحات مواقع التواصل الاجتماعي، من أجل تحقيق حلم بناء جيل واعي ونثر بذور الثقافة بالمجتمع والمناداة بتنشئة عقول أساسها الثقافة والعلم.

مدير النشر: أسماء فخر الدين
شهرزاد للنشر والتوزيع

E-mail: shahrazadpub@gmail.com
facebook: Shahrazadpub
shahrazadpub2015
twitter: shahrazadpub

للشراء عبر صفحة البوك ستور الإلكتروني:
صفحتنا على الفيس بوك: شهرزاد بوك ستور